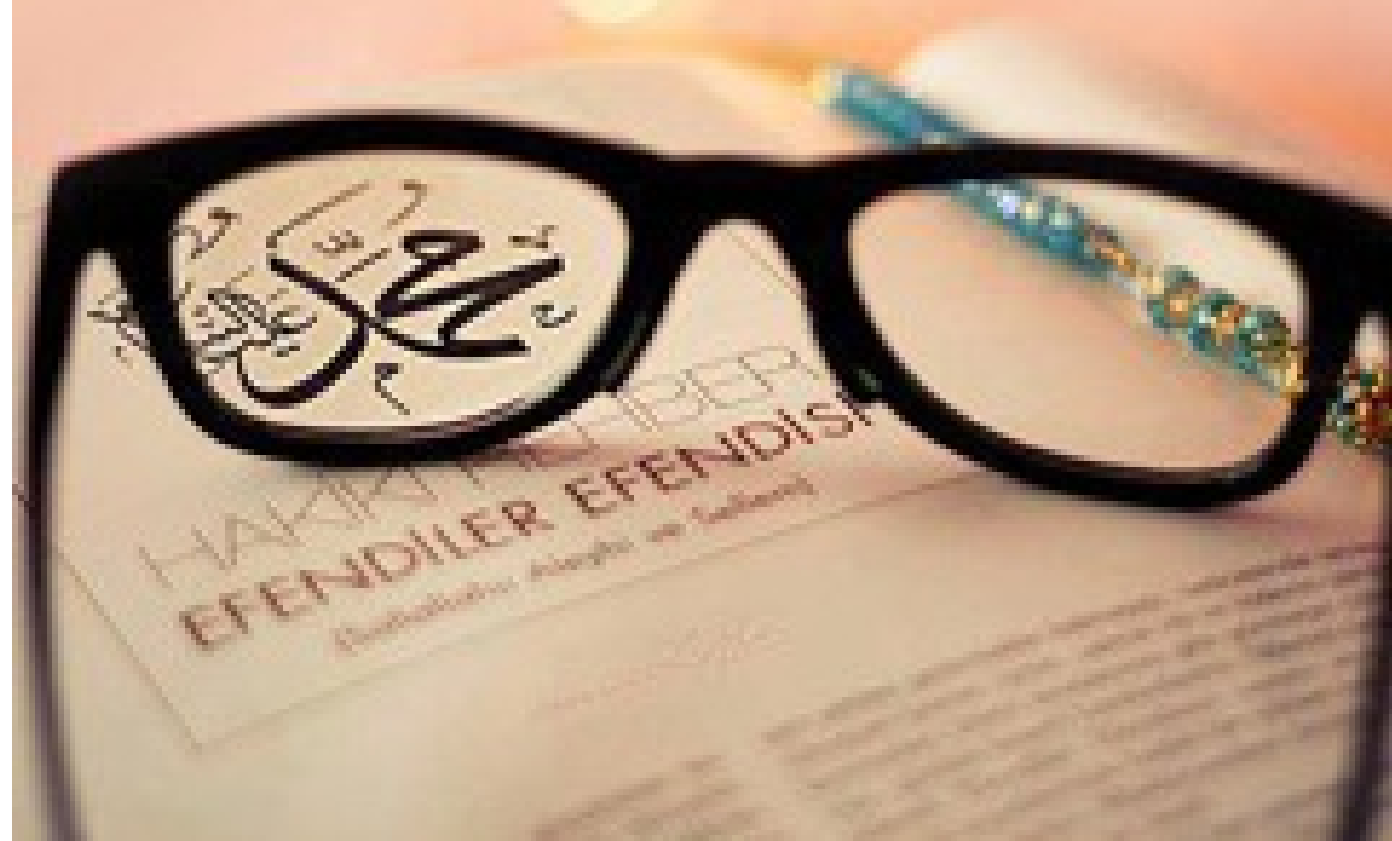


# النبي محمد قدوه الصديقين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# النبي محمد قدوة الصديقين

كاتب:

محمد تقى المدرسى

نشرت فى الطباعة:

سيد محمد تقى المدرسى

رقمى الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
١٣	النبي محمد قدوة الصديقين
١٣	اشارة
١٣	جوهر الشخصية النبوية
١٣	اشاره
١٣	الاعتماد على الايمان بالله
١٤	نور وهاج
١٤	حقيقه منسيه
١٤	برنامج روى لتربية النفس
١٤	اشاره
١٥	الدعاء
١٥	الصوم
١٥	تصفية القلوب والنوايا
١٦	حسن التعامل
١٦	نشر الوعى القرآنى
١٦	العمل على تحقيق الوحدة
١٧	ابداء ردود فعل مناسبة تجاه الأحداث
١٧	بماذا نجيب الشهداء
١٧	المعرفة المثلى لشخصية النبي
١٧	اشاره
١٨	العمر ليس مقياساً للايمان
١٨	معرفة كافية
١٨	معارض مترابطة

١٩	المعرفة حب و سلوك
١٩	لا للمعرفة المجزأة
٢٠	غبين و خسارة
٢٠	النبي محمد وسيلة الرحمة
٢٣	النبي الشاهد
٢٣	اشاره
٢٣	الشهادة في الطليعة
٢٤	خلود لا متناه
٢٤	مخزن طاقات هائل
٢٤	الشيطان آفة الانسان
٢٥	اليأس سلاح شيطاني
٢٥	ماهي شهادة النبي؟
٢٥	اخلاق استوعبت البشرية
٢٦	قدوة المؤمنين
٢٦	اشاره
٢٦	الانسان اسمى من الملائكة
٢٧	سباق التكامل
٢٧	القدوة.. ضرورة
٢٧	النبي الأكرم خير قدوة
٢٨	شروط الاقتداء
٢٩	الصلاة على النبي و آله المعاني والدلالات
٢٩	اشاره
٢٩	المعاني المختلفة للصلاة
٢٩	الصلاة على النبي و آله

٣٠	الضلالات الشيطانية للبشر
٣٠	اشاره
٣٠	الاعتقاد بالغلو
٣٠	عدم الحاجة الى الوسيلة
٣٠	الحب دافع الانسان الى الطاعة
٣١	كيف نتبع رسول الله؟
٣١	احاديث في فضل الصلاة
٣١	لكي نقتدى برسول الله
٣١	اشاره
٣٢	حبل بين السماء والأرض
٣٢	هدف البعثة طاعة الرسول
٣٢	الغفران باستكمال التوبة
٣٢	الرسول الحاكم
٣٣	مولد النور
٣٣	اشاره
٣٣	بداية عصر جديد
٣٣	دروس الميلاد
٣٤	استفادة ممكنة
٣٤	رمز وحدة الأمة
٣٥	القرآن الناطق
٣٥	ميلاد الرحمة
٣٥	اشاره
٣٥	سر تجدد الذكرى
٣٥	حاجة متجددة

رسالة عالمية	٣٦
الطبيعة البشرية باقية	٣٦
رسالة السماء بلسم البشرية	٣٦
قبائل العصر الحديث	٣٦
انبعاث رحمانى	٣٧
امه متآخيه و موحده	٣٨
مسافات شاسعة	٣٨
لا نجاح للمجتمع الانانى	٣٨
كتاب كله هدى	٣٩
انطلاقة العقل والارادة	٣٩
اشاره	٣٩
ارادة السماء تتدخل	٣٩
خلفية جاهلية	٤٠
منهاج النبى علاج مشاكلنا	٤٠
المسلمون و خطر الابداه	٤١
الحوزات العلمية و ضرورة التطوير	٤١
دعوة للتجديد	٤١
مبدد الظلمات و محطم الحواجز	٤٢
اشاره	٤٢
المعرفة شرط اول	٤٢
عادت الظلمات من جديد	٤٢
من مظاهر الظلمات المعاصرة	٤٣
سبيل الخروج من الظلمات	٤٣
الرؤية العنصرية كفر	٤٣

٤٤	مقياس الإيمان الحقيقي
٤٤	الانتماء المزدوج سبب المشاكل
٤٤	وحدة القيادة الالهية
٤٥	منطلق الوحدة
٤٥	اشاره
٤٥	مولد الرسول مناسبة للوحدة
٤٥	الوحدة ليست شعاراً يردد
٤٥	بالحق يعرف الرجال
٤٥	اسباب الوحدة قائمة
٤٦	مشيرو الاختلافات عاجزون
٤٦	الزبد يذهب جفاءً
٤٦	النعمة الكبرى والمنة السابعة
٤٦	اشاره
٤٦	الامة المختارة
٤٧	منة الله على البشرية
٤٧	قيود الأنظمة
٤٧	رسول و كتاب و رسالة
٤٨	التكريم والتعظيم لا يكفيان
٤٨	رسالة متميزة
٤٩	دراسة السيرة النبوية ضرورة
٤٩	نهج الحياة في سيرة النبي الأعظم
٤٩	اشاره
٥٠	معاناة الرسول الأئمة
٥٠	لحظة الوداع المقدسة



٥٠	تساؤلات..
٥١	ركائز العمل القيادي ..
٥١	اسقاط حجب الشرك ..
٥٢	كلكم مسؤول ..
٥٢	المنفذ الأول الى الجنة ..
٥٣	الرجل الأول في التاريخ ..
٥٤	الاستقامة ثم الاستقامة ..
٥٤	دورة التاريخ ..
٥٤	اشاره ..
٥٥	العودة الى الجذور ..
٥٥	مبعث الهدى ..
٥٥	اشاره ..
٥٥	حضارة ام فرعونية؟! ..
٥٦	كسرويه و قيصريه ..
٥٦	ظلام و نور ..
٥٧	مقاومة زيف الطغاة ..
٥٨	من وحى البعثة ..
٥٩	رسل الله رمز التحدى ..
٥٩	اشاره ..
٥٩	الارتفاع الى مستوى التدبر ..
٥٩	انعكاسات القرآن فى القلوب ..
٦٠	رافد عذب و نبع صاف ..
٦٠	شبهات الكفار تجاه الرسل ..
٦٠	شبهات تافهة ..

- ٦١ ..... الدنيا ليست نهاية المطاف
- ٦١ ..... متى سيحل الأجل؟
- ٦٢ ..... الهدف الحقيقي من طلب العلم
- ٦٢ ..... لماذا نستصغر انفسنا؟
- ٦٢ ..... طريق الرسالة شائك
- ٦٣ ..... الرسالة الاسلاميه مشروع البشريه جمعاء
- ٦٣ ..... اشاره
- ٦٣ ..... المشروع الاسلامي منهج عالمي
- ٦٣ ..... مشاريع ناقصه
- ٦٤ ..... مشروع الرحمه
- ٦٤ ..... اويس أخو رسول الله
- ٦٥ ..... انتظار الأمل لا يعنى السكوت
- ٦٥ ..... رحمه للعالمين
- ٦٦ ..... تيار عظيم من العاطفه
- ٦٦ ..... كيف نحقق السعاده الروحيه؟
- ٦٦ ..... من آداب الرسول
- ٦٧ ..... العالم يبحث عن رساله محمد
- ٦٧ ..... اشاره
- ٦٨ ..... جاءت الرحمه الإلهيه
- ٦٨ ..... العفو النبوي الأعجوبه
- ٦٩ ..... محمد.. الأمل
- ٦٩ ..... كل الايجابيات للاسلام
- ٦٩ ..... رحمه استوعبت البشريه
- ٦٩ ..... ازمه اخلاق و ضمير

- ٧٠ ..... واجبنا ازاء الرسالة
- ٧٠ ..... رسالة العلم والحياة السعيدة
- ٧٠ ..... كيف ندعو العالم الى نهج النبى؟
- ٧٠ ..... اشارہ
- ٧٠ ..... نفوس مكبله بالقيود
- ٧١ ..... ثقافه الماده
- ٧١ ..... الحياة فى ظل الاسلام
- ٧٢ ..... انهم يحطمون القيم
- ٧٢ ..... مسؤوليه كبيره
- ٧٢ ..... پاورقى
- ٧٤ ..... تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

## النبي محمد قدوة الصديقين

## إشارة

اسم الكتاب: النبي محمد قدوة الصديقين

المؤلف: آية الله السيد محمد تقى المدرسى

اللغة: عربى

قطع: رقعى

عدد الصفحات: ٢٥٧

المجلدات: ١

الرسول ( صلى الله عليه وآله ) اعتمد على الايمان بالله ، فقد كان عارفاً بخالقه ومن خلال معرفته هذه وايمانه الكامل استطاع ان يقف كالجبل الاشم امام كل الانحرافات ، ويدفع بسفينته البشرية الى شاطئ النجاة ...

## جوهر الشخصية النبوية

## إشارة

انطلاقاً من قوله - تعالى - : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الاحزاب / ٢١) نستلهم من سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) المباركة عبراً ودروساً نستضيء بها فى طريقنا الشائك الذى نسلكه الآن من أجل انتصار العدالة والحرية فى الارض، ومن أجل تحقيق حكم الله - عز وجل - تحقيقاً كاملاً. وفى هذا المجال نطرح السؤال المهم التالى: ما هو جوهر هذه الشخصية الرسالية التى لم يخلق الله - تعالى - لها مثيلاً - من قبل ولا - من بعد، وما الذى جعل الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو بشر يقف امام جبروت الطغاة، وفساد الانظمة، وانحرافات الجاهليّة، ويزود البشرية بزخم قوى هائل استمرت على اثره بالتصاعد، وتستمر حتى قيام الساعة؟ وحتى الامام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) فانه سوف لا يأتى برسالة جديدة، بل انما يأتى لتطبيق رسالته جده (صلى الله عليه وآله) لان هذه الرسالة كاملة؛ وهو انما يظهر لتطبيقها لا بجهوده فحسب، ولا بانتصار الغيب له فقط، وانما ايضا بجهود النبي (صلى الله عليه وآله) ومن استلهم منه، ذلك لان المسلمين الحقيقيين يستلهمون من حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وسيرة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الايمان الحق ويطبقون الاسلام وينشرونه ليظهر بعد ذلك الامام المهدي (عليه السلام) مطبقاً جميع احكام الاسلام، ومالئاً الارض قسطاً وعدلاً.

## الاعتماد على الايمان بالله

فما هو جوهر هذه الشخصية، وما الذى دفعها الى ان تقف امام كل التيارات المادية بكل مالها من عنفوان واندفاع وضغوط؟ بكلمة واحدة نقول ان الرسول (صلى الله عليه وآله) اعتمد على الايمان بالله، فقد كان عارفاً بخالقه ومن خلال معرفته هذه وايمانه الكامل استطاع ان يقف كالجبل الاشم امام كل الانحرافات، ويدفع بسفينته البشرية الى شاطئ النجاة. وفى تلك اللحظة التى خرج فيها النبي (صلى الله عليه وآله) من مكة المكرمة فانه خرج منها مهاجراً تاركاً ارضه وبلده، واعز بقاع الارض الى قلبه ألا وهو بيت الله الحرام، فالتاريخ يروى لنا انه (صلى الله عليه وآله) عندما خرج من مكة التفت لفته اليها وقد اغرورت عيناه الكريمتان بالدموع، ولكن جبرائيل (عليه السلام) سرعان ما أوحى الى قلبه قائلاً: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيَّ مَعَادٍ) (القصص / ٨٥)، وهنا اطمأنت نفسه

وخرج من مكّة مهاجراً تلك الهجرة التي كانت اللبنة الأولى لبناء الأمة الإسلامية في التاريخ. وفي الحروب وقف مع الرسول (صلى الله عليه وآله) أصحابه الأبطال المخلصون وفيهم من أمثال علي بن أبي طالب (عليه السلام) وجعفر، وأبي ذر وغيرهم من الذين كان الواحد منهم يقف أمام الناس جميعاً دون خوف أو وجل إلى درجة أن علياً (عليه السلام) قال: "والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لساغت إليها [١.. ٢] ومع شجاعة علي (عليه السلام) الفائقة هذه فانه كان يقول: "كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه [٢]".

## نور وهاج

تري ما الذي جعل قلب الرسول (صلى الله عليه وآله) بهذه الدرجة من الشجاعة والصمود بحيث يلوذ به علي (عليه السلام) وأمثاله من الأبطال؟ إن الإنسان عندما يدرس حياة النبي (صلى الله عليه وآله) بفكره البسيط والمحدود فانه لا يستطيع أن يستوعب ما أحدث (صلى الله عليه وآله) من تغييرات جوهرية في العالم. لقد كان مبعثه (صلى الله عليه وآله) أيذانا بحدوث امواج هائلة القوة ومتصاعدة في حياة البشرية، فما هو النور الوهاج الذي اضاء قلبه ليضيء معه العالم برمته؟ انه الايمان بالله والمعرفة به؛ ففي كل قضية تلجأ البشرية اليه وهو يلجأ إلى الله - عز وجل -، وفي كل ليلة كان (صلى الله عليه وآله) يقوم ثلاث مرات ليعبد ربه، ويستلهم من عبادته الشيء الكثير من العزم والصمود؛ في بداية الليل بعد صلاة العشاء كان (صلى الله عليه وآله) يغفو غفوة، وفي بداية الثلث الثاني من الليل يقوم من النوم لينحدر إلى مناسكه وعباداته ويستمر متعبداً إلى الصباح. انني هنا أريد أن اوجه انظار القراء الكرام إلى هذه النقطة بالذات، فلقد نسينا الله - سبحانه -، وفي طليعة الأشياء التي نسيناها بعد الله - تعالى - أنفسنا كما قال - عز وجل -: (نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ) (الحشر / ١٩)، وهذا يعني اننا اذا نسينا الله فاننا سوف ننسى قدراتنا وطاقاتنا وكرامتنا.. فنحن لم نبتل بما ابتلينا به لحد الآن من مآس وويلات، ومن تجبر المستكبرين في الارض، وضغوط الطواغيت، وفساد المفسدين إلا بعد ان نسينا خالقنا وبارئنا.

## حقيقة منسية

وعلينا الآن ان نعود إلى الله، وإلى عبادته عبادة حقيقية، والتضرع إليه تضرعاً نابغاً من القلب، فالله - عز وجل - لا يمكن ان ينخدع - وحاشاه ان ينخدع - بهذه الصلوات الجوفاء، والعبادات الفارغة، والشعائر القشرية. هذه لا يمكن ان تنفع امتنا شيئاً لا في الدنيا ولا في الآخرة، والشيء الوحيد الذي ينفعنا هو الحقيقة واللب؛ فالله - تعالى - لا يطلب منا كثرة الصلاة والصيام، بل قلباً خاشعاً وعينا دامعةً وسلوكاً مستلهماً من ايماننا الحقيقي به. ولذلك فاني الفت الانظار إلى هذه الحقيقة المنسية ونحن نعيش المأساة في كل مكان، فقد تظاهرت الدنيا علينا وكادت المؤامرات تخنقنا، فهناك الآن اكثر من ألف مليون مسلم يعيشون تحت الوان من العذاب في كل مكان، ومثل هذه الظروف تدعونا إلى ان نعود إلى الله - تعالى -، وان نصفي قلوبنا، ونطهرها من الاحقاد والضغائن، ليكون ما بيننا وبين الله عامراً، وهو - عز وجل - بدوره سيصلح ما بيننا وبين الآخرين.

## برنامج روعي لتربية النفس

### اشاره

ولنضع في هذا المجال برنامجاً روحياً لتربية أنفسنا، فنحن لو حكمنا البلاد - مثلاً - وفي قلوبنا احقاد تجاه بعضنا البعض فسوف ندمر أنفسنا، فلنخرج - اذن - هذه الضغائن من قلوبنا، ونقتلع جذورها أولاً، ثم نفكر بعد ذلك في اقامه حكم الله، فان احداً لا يستطيع ان يطبق هذا الحكم إلا - من كان يمثل في سيرته وسلوكه وخلقه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فليس من المعقول ان يستطيع اقامه

حكم الله من استبد به حب الرئاسة، ولذلك فاني اوصى جميع الرساليين في كل مكان بأن يبادروا الى تركية انفسهم، والتوبة الى الله - عز وجل - والانابة اليه وذلك من خلال تطبيق فقرات المشروع التربوي التالية:

## الدعاء

ان اهمية الدعاء ليست اهمية مادية فحسب، كما انها لا تقتصر على اصلاح النفس البشرية، وتحديد نقاط الضعف فيها، بل ان اهميته تكمن في انه يربط الانسان بالقدره الالهيه التي لا تنتهي، فالدعاء يجعل قلوبنا مضاءة بنور الايمان، فلتنضرع الى الله في جوف الليل، فإن بيده الأمور وهو الذي يرفع من يشاء ويضع من يشاء ويؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ويبيده كل شيء. ان الدعاء الحقيقي هو الدعاء الذي يدفعنا الى العمل في ايماننا، أولم يكن اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين خرجهم من مدرسته بفضل تعاليم الوحي رهبان الليل وفرسان النهار؟ لقد كانت ضراعتهم في الليل هي التي تدفعهم الى ان يخوضوا غمار الحرب كالاسود في النهار، حتى قال (صلى الله عليه وآله): "ونصرت بالرعب من مسيرة شهر" [٣..]. فلنقف لله خاضعين خاشعين بعد صلواتنا، ونحن نرى ان ائمة الثورة وقادة الرسالة وهداة الامه كانوا يحثون الناس على الدعاء في أشد الظروف واحلكها، فعندما تنقطع الوسائل ولا تبقى للانسان وسيلة للدفاع عن نفسه من أجل القيام بالثورة الحقيقية، فحينئذ تبقى وسيلة اخرى انما هي وسيلة انتماء الانسان الى الثورة، فعندما تشتد الظروف، ويتصاعد الارهاب ينقطع انتماء الانسان الى الثورة فلا يشعر انه جزء منها، وهنا يلعب الدعاء دوره، ليحافظ على ثوريه الانسان، ويبقيه متممياً الى مجتمع الثورة، وأمة الانطلاق. ولذلك فاننا نؤكد على الاخوة المجاهدين العاملين في الساحة ان لا ينسوا هذا السلاح الفعال الذي يقول عنه النبي (صلى الله عليه وآله): "الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السموات والأرض" [٤]. والدعاء هنا له جانبان؛ الجانب الأول ان تدعو الله - عز وجل - ان ينصررك على عدوك، والجانب الثاني ان تدعوه لكي يخذل عدوك. وفي يوم القيامة سوف يحاسب الله - سبحانه - الانسان على تركه للدعاء الذي يحارب به الطواغيت، والظالمين، ويلعنهم من خلاله، ويطالب باسقاط دعائم حكمهم، وتقريب آجالهم، فكل انسان مكلف ومسؤول امام الله عن الدعاء وراء كل صلاة، وفريضة لاسقاط الطاغوت، وربما تكون هناك آهه حزينة تخرج من قلب مظلوم ومفجوع تستجاب عند الله - جلت قدرته - وتقضى على الطاغوت. صحيح ان هناك في الكون سنناً ومصالح، وان هناك حقاً يحكمه، ولكن من سنن الله استجابة الدعاء، والصلاة التي يأمرنا الخالق بادائها قائلاً: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) (البقرة ٤٥) جوهرها الدعاء، وقد روى عن الامام علي (عليه السلام) انه كان يدعو في القنوت على اعداء الامه الاسلاميه بأسمائهم، ونحن ايضاً يجب علينا ان ندعو على اعداء الاسلام باسمائهم ومن المؤكد ان الله - تعالى - سوف يستجيب لنا لانه رحيم بعباده.

## الصوم

علينا بالصوم فان الله - عز وجل - يقول: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) فقدم الصبر الذي هو الصوم على الصلاة، وعلى المجاهدين في سبيل الله ان يمارسوا الصيام كل اسبوع على الأقل، لان الصوم من شأنه ان يزيد من ايمانهم، وصلابتهم، ويجعل نفوسهم شفافة، كما يجعل ارادتهم صلبة وقوية، ويذكرهم دوماً بالمأساة التي تعيشها شعوبهم، وهنا أؤكد على المجاهدين البعيدين عن اوطانهم والذين من الممكن ان يفقدوا شيئاً فشيئاً انتماءهم الى شعوبهم الراحة تحت نير الطغاة، ويفقدوا احساسهم بمآسى شعوبهم هذه، فمن خلال الصوم، هذه العبادة المهمة سيتذكرون دوماً الآلام والمحن التي يعيشها اخوتهم في السجون والمعتقلات.

## تصفية القلوب والنوايا

علينا ان نوصي قلوبنا ونوايانا تجاه اخوتنا المؤمنين، فإذا قسقلوبنا تجاه بعضنا البعض، واذا لم نشعر بالمسؤولية، وابعدنا انفسنا عن

المعركة فان الله - تعالى - سوف ينزل غضبه علينا، وعندما تكون نياتنا صافية، واعمالنا خالصة لوجه الله فان اعمالنا سوف تؤتى ثمارها، فالعمل يصطبغ بالنية الصالحة. وهذه هي وصيتي للمجاهدين الرسايلين العاملين في الساحة، فعلى كل واحد منا عندما ينهض من نومه صباحا أن يتفكر في الاعمال التي قام بها؛ هل كانت لله - تعالى - أم للشهرة، ولدائه؟ ولنحذر من ان ندخل النار - لا سمح الله - بالاعمال التي هي صالحة في الظاهر، فهناك البعض من الناس سيعذبون بالنار بسبب صلاتهم، وصومهم، وحجهم وغيرها من العبادات التي ادوها رياءا وسمعة.

### حسن التعامل

من الأمور المهمة التي يجب ان نلتزم بها ونحن نخوض الجهاد، ان نحسن تعاملنا مع بعضنا البعض، فالتهم، والافتراءات، وسوء الظن، والغيبة كلها امور من شأنها ان تؤخر انتصار الثورة حتى وإن قدمنا التضحيات الجسيمة، وسالت منا الدماء الغزيرة، لان كلمة السوء تؤثر في القلب والنفس، وتعتبر من الآثام الكبيرة كما قال - عز وجل - (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ). (الحجرات / ١٢) وقد نهانا القرآن الكريم عن ان نقول مالا علم لنا به، وان نترث قبل اصدار الاحكام كما اشار الى ذلك - تعالى - في قوله: (إِنْ حَرَّاءَ كُفَّ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (الحجرات / ٦)، ففي كثير من الاحيان نسمع اشاعة ضد اخواننا المؤمنين فبادر الى تصديقها دون علم وتثبت، وتتخذ على أثر ذلك مواقف ارتجالية نندم بعدها حيث لا ينفع الندم، ان علينا ان نأخذ بنظر الاعتبار في هذا المجال ان للسان دوره في الحياة، واننا يجب ان ننزه السنتنا عن التهمة، والافتراء، والغيبة، وان يكون هدفنا توحيد الصفوف، ولم الشمل.

### نشر الوعي القرآني

يجب ان لا يكون همنا ان نحدث الناس عن الثورة دون ان نقوم بدورنا في نشر الوعي الديني والقرآني، فلو لم نستطع احياء دور القرآن الكريم في مجتمعاتنا، واعادة الناس الى تلاوة القرآن، والتدبر في آياته، والاستلهام من نوره فان الثورة سوف لا تنمو، ولا تنتصر. ان الجماهير قد ادركت الآن ان الاسلام حق من خلال ما يجري في الساحة، لقد جربت الشرق والغرب وعرفت ماذا يجبران عليها من ويلات ومآسى، واكتشفت ان هذه الافكار المادية خاطئة، وبدأت الآن تتوجه نحو الاسلام، فعلينا ان نستغل هذه الفرصة لتزويدها بغذاء ثقافي لكي نستطيع الاعتماد عليها. ان تلاوة القرآن ودراسته يجب ان تكونا في طليعة اعمال الثوار؛ فكل انسان ثوري يجب ان يقرأ يوميا صفحات من القرآن الكريم يتدبر فيها ليعرف طبيعة ثورته، فالانسان المجاهد عندما يستشهد وهو يتلو القرآن فان درجته ستكون ارفع من سائر الشهداء فقد جاء في الحديث الصحيح عن الامام الصادق (عليه السلام): "وعليكم بتلاوة القرآن فان درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فاذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق فكلما قرأ آية رقا درجة [.. ٥]؛ اي اقرأ القرآن وارق الدرجات عند الله - عز وجل -، فالشهيد عندما يكون قارئاً للقرآن الكريم فان درجته ستكون مع الصديقين.

### العمل على تحقيق الوحدة

علينا ان نعلم ان تحقيق الوحدة عملية صعبة جدا، فعلى الانسان ان يبني كيان هذه الوحدة لبنه لبنه من القاعدة، وهذه الوحدة تبدأ من العائلة، ثم الاصدقاء، ورفاق الجهاد لتسود المجتمع الصغير ثم الكبير، ولذلك فان على الامة الاسلامية ان توحد نفسها من القاعدة من خلال تشكيل اللجان الثورية في كل مكان، وهذه اللجان يجب ان لا تقتصر في نشاطها على الحدود والاطارات التي ينخرط فيها الشباب فقط، بل يجب ان تشمل الوحدة جميع شرائح الأمة وفئاتها. وقد أثر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه عندما كان يبعث مجموعة صغيرة لاداء مهمة معينة فانه كان يختار لهذه المجموعة قائداً، وعلينا نحن ايضا ان نوحّد انفسنا، ونستجمع قوانا، ونخرج من

ذاتياتنا، ونصلح ما بيننا. ان هذه المرحلة تقتضى ان نخطو خطوات متدرجة لتحقيق اهدافنا، اما اذا اردنا ان نحقق هذه الاهداف مرة واحدة، وعلى مستوى واسع فان الفشل سيكون مصير هذه الاهداف.

### ابداء ردود فعل مناسبة تجاه الأحداث

على كل واحد منا ان يبدى رد فعل مناسب تجاه الأحداث؛ فاذا سمع الواحد منا ان اخا له فى الايمان قد استشهد، وان آخر قد اعتقل، وان مؤامرة قد نفذت ضد اخوان لنا فى الدين فى هذا البلد الاسلامى أو ذاك، فان علينا ان نتخذ موقفا ازاء هذه الاحداث كأن نشترك فى تظاهره، او نكتب كلمة، او نلقى خطابا.... اما إذا مرت تلك الحوادث دون ان نحرك ساكنا فان هذا الموقف يسبب قسوة قلوبنا. وفى هذا المجال يروى عن الامام على (عليه السلام) انه تألم كثيراً عندما سمع ان امرأة مسلمة قد أخذت منها زيتنها غصبا فى احدى الغارات حتى انه قال "لو ان رجلا مات من ذلك كمدا لما كان عندى ملوماً،" فى حين اننا نرى الآن الكثير من المسلمين يقرأون الأخبار ثم يمرون عليها مر الكرام!

### بماذا نجيب الشهداء

ترى بماذا سنجيب الشهداء غدا عندما يواجهونا ملطخين بدمائهم، فلا يدعوننا نخترق الصفوف للدخول فى الجنة ويحتجون علينا قائلين: ان دماءنا فى ذمتكم، وعلى عواقبكم! ترى بماذا سنجيبهم؟ ان دماءهم فى اعناقنا، والراضى بالظلم كفاعله، والساکت عن الحق شيطان اخرس، والله - سبحانه وتعالى - يشمل الناس بالبلاء عندما يعينون الظلمة والمجرمين بالرضا. ان كل انسان قادر على ان يبدى رد فعل وإن ادعى انه لا يستطيع ذلك، فاذا سمعت - مثلاً - ان الثوار قاموا بعملية ما واستشهدوا فبإمكانى ان ادفع قدراً من المال الى هذه الحركة، او تلك الجماعة التى قامت بتلك العملية إذا لم استطع الذهاب الى ساحة المواجهة، والاشتراك الفعلى فى القتال، فعلى ان نقسم الادوار بيننا، فالذين لا يستطيعون الاشتراك فى الجهاد عليهم ان يدعموا الحركة الجهادية بالاموال والامكانيات، ليقوم القادرون على حمل السلاح بدعم الحركة الجهادية بدمائهم وتضحياتهم. ان الشعوب الاسلامية لو قامت بابداء ردود الفعل المناسبة تجاه الظروف والاحداث العvisية والمأساوية التى تمر بها لاستطاعت ان تزيل حكم الطغاة، وتقاوم الظلم والفساد والانحراف، فالحكام المتجبرون لم يستطيعوا التحكم بنا، والسيطرة على مقدراتنا، وابعادنا عن ديننا وعقيدتنا إلا بعد ان خيم الصمت والسكوت علينا، واصبحنا لا نبدى اى حراك ازاء ما يجرى حولنا، ولا نشارك فى الأحداث مشاركة ايجابية فعالة من شأنها ان تحقق لنا الحياة الحرة الكريمة حيث لا ظلم، ولا طغيان.

### المعرفة المثلى لشخصية النبي

#### اشاره

فى العديد من النصوص الاسلامية نلاحظ التأكيد على الفكرة القائلة بأن الله - عز وجل - اول ما خلق من الانوار القدسية نور نبينا وحبیب قلوبنا محمد بن عبد الله (صلی الله علیه وآله)، وانه خلق السماوات والأرض والجنان والكائنات جميعا بهذا النور النبوى. فلنتعرف ولو بمقدار قليل على حياة نبينا (صلی الله علیه وآله) وعلى شخصيته الفذة ذلك لأن معرفتنا به هى التى تقربنا اليه، وكلما اقتربنا من معرفتنا له (صلی الله علیه وآله) اقتربنا من ربنا، فدرجات الناس فى الآخرة انما هى بقدر عقولهم ومعارفهم، والاعمال هى بالنيات، لأن عظمة العمل وعظمة الانسان العامل له تتجلىان فى الأهداف الكبيرة التى يقوم الانسان بذلك العمل من اجلها، ومن هنا فكلما كانت معرفة الانسان بربه اسمى، كانت اعماله اكثر سمواً وعظمة.



## العمر ليس مقياساً للإيمان

ان المسافة الزمنية التي يقطعها الانسان من حين ولادته وحتى وفاته ليست ميزانا ومقياسا في ارتفاع درجاته او تسافلها، ففي لحظة واحدة قد يقطع الانسان عشرات الملايين من الدرجات الى ربه، وهذه اللحظة هي لحظة المعرفة. ان البعض يعرف رسول الله (صلى الله عليه وآله) كقائد، وكرجل عربى انقذ العرب من الجهل والضلالة والتمزق والتجزئة والتخلف، وبعث فيهم نهضة حضارية متسامية، والبعض الآخر يسمو على ذلك فيقول انه كان رسول الله، وانه كان يحمل رساله من الغيب، وكان الوحي يتنزل عليه، ولكنه كان فى بعض الاحيان يرتكب بعض الأخطاء والهفوات، وتصورهم هذا ليس بالتصور الذى يليق بشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله).

## معرفة كافية

وهناك من يعرفه (صلى الله عليه وآله) باعتباره اماماً للرحمة، وقائداً للهدى، وسراجاً منيراً، ولكن هؤلاء يقتصرون على الكلمات وظواهرها التي جاءت في الذكر الحكيم، او وردت في الروايات والنصوص، او في كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) وما أجملها واعظمها من كلمات تصف شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) بأعظم الوصف واجله. ومثل هؤلاء على خير لأنهم عرفوا النبي (صلى الله عليه وآله) بأدنى ما يمكن ان يعرف به؛ لقد عرفوه بالتجلى الظاهر له، وبالبشرية التي جعله الله - تعالى - فيها، وهذه المعرفة كافية، وصاحبها يكون من اصحاب الايمان. ولكن السؤال المهم المطروح هنا هو: هل بذلك فحسب تتم معرفة شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله)؟ كلا بالطبع، فنحن لو ادركنا بعمق معنى ان الله - عز وجل - خلق نور نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) قبل ان يخلق سماءاً أو أرضاً أو ملائكة، ثم اضفنا هذه الفكرة الى الرواية التي وردت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقول "يا على ان أول خلق خلقه الله عز جل العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر، وقال وعزنى وجلالى ما خلقت خلقاً هو أحب إلى منك، بك آخذ وبك أعطى، وبك أثيب، وبك أعاقب." [٦] لو عرفنا هذه الرواية وقارناها بتلك الفكرة، وعرفنا ان الله - تبارك وتعالى - خلق الكائنات خلال لحظة واحدة، وان هذه الكائنات بما فيها من شمس ومجرات ماهى إلا- جانب من خلق الله، وان البشرية ليس باستطاعتها ان تبلغ آمداد وابعاد الكائنات التي يخلقها الله في كل لحظة... لو عرفنا كل ذلك فلعلنا حينئذ نعرف شيئاً من عظمة نبينا (صلى الله عليه وآله). ولكن هيهات، فهو (صلى الله عليه وآله) عندما يقول لعلى (عليه السلام): "يا على ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفنى إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا" فان هذا القول ليس مجرد مبالغات، ولكن عقولنا هي التي تقصر عن بلوغ وادراك هذه الابعاد.

## معارض مترابطة

ترى ماذا يعنى ان الله - تعالى - خلق الكون بنور الرسول (صلى الله عليه وآله)، وخلق الجنة بنور أبى عبد الله الحسين (عليه السلام)؟ وهل هي مبالغات وأوهام؟ اننا لم نعهد في كلامهم (عليهم السلام) اوهاماً ومبالغات، حيث جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في ذلك: خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية وعرش ولا جنة ولا نار. كنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسده حين لا تقدس، فلما أراد الله بدء الصنعة فتق نورى فخلق منه العرش فنور العرش من نورى، ونورى من نور الله وأنا أفضل من العرش. ثم فتق نور ابن أبى طالب فخلق منه الملائكة، فنور الملائكة من نور ابن أبى طالب من نور الله ونور الله وأنا أفضل من الملائكة، وفتق نور ابنتى فاطمة منه فخلق السماوات والأرض فنور السماوات والأرض من نور ابنتى فاطمة ونور فاطمة من نور الله، وفتق نور الحسن فخلق منه الشمس والقمر فنور الشمس والقمر من نور الحسن ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثم فتق نور الحسين فخلق منه الجنة والحدور العين فنور الجنة والحدور العين من نور

الحسين، ونور الحسين من نور الله، والحسين أفضل من الجنة والحدور العين. [٧]. ان ذلك الخلق الأعظم الذى خلقه الله - تعالى - مجردا من كل شائبة وتغيير، والذى بقاؤه مستمد من بقاء الذات الالهية، هذا الخلق وهبه الله للانسان وجعل نوره فى قلب محمد (صلى الله عليه وآله) الذى هو حبيب الله - عز وجل -، وهذا اللقب يعنى ان الله يحبه، ويكرمه، ويعظمه، وانه قد جعله اقرب الناس إليه. انها كلمة لا يمكن ان نعرف ولو جزءاً بسيطاً من أبعادها، إلا بعد ان نعرف شيئاً ما عن عظمته ربنا - سبحانه وتعالى -. ترى لماذا سقطت فى يوم مولده الاعظم شرفات المدائن، ولماذا غاضت بحيرة ساوة، وفاضت بحيرة السماوة، ولماذا اطفئت نيران فارس فى معابدها، ولماذا ضربت نجوم السماء بعضها بعضاً، ولماذا حدثت تغيرات هائلة فى الكون؟ كيف ولماذا انبعث النور من بيت آمنه بنت وهب الى عنان السماء، هذا النور الذى اضيئت به جنابات مكة، ولماذا جعل الله - تعالى - امته افضل امه، وخير امه أخرجت للناس؟ اننا إن لم نعرف هذه الحقائق ولم نأخذها بعين الاعتبار فان علاقتنا بالنبي (صلى الله عليه وآله) ستكون علاقة طفيفة هشة وغير كافية لكى تحملنا الى الدرجات السامية، وبالإضافة الى ذلك فان معرفتنا بالرسول (صلى الله عليه وآله) إن لم تتم فان معرفتنا بالأئمة (عليهم السلام) لا يمكن ان تتم، ومن لم تتم معرفته بهم (عليهم السلام) فان دينه سيكون ناقصاً كما يشير الى ذلك بصراحة الدعاء المعروف: "اللهم عرفنى نفسك فإنك إن لم تعرفنى نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرفنى رسولك فإنك إن لم تعرفنى رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفنى حجتك فإنك إن لم تعرفنى حجتك ضللت عن ديني [٨].

### المعرفة حب و سلوك

فلنكمل معارفنا التى هى درجاتنا الى الله - تعالى -، ولا بد ان تتحول هذه المعرفة الى حب، والحب الى سلوك، والسلوك الى برنامج، والبرنامج الى خط نستقيم عليه حتى الممات، والمعرفة إذا كانت متكاملة، وكانت معرفة العقل والعاطفة، ومعرفة اتصال القلب بمن يعرف، فان هذه المعرفة هى التى ستتحوّل الى حالة حب، وفى هذه الحالة سنحب الرسول (صلى الله عليه وآله)، والحبيب لمن يحب مطيع - كما يقال -، فالانسان يتبع ويطيع من يحبه شاء أم أبى، لان القسم الأكبر من سلوكيات الانسان يمثل الجزء غير الواعى منه. وعلى هذا فان مجموعة كبيرة من سلوكيات الانسان تتبع اللاوعى، فالحب والبغض يدخلان فى اللاوعى وهما اللذان يقودانه، فعندما يجعل الانسان شخصا ما قدوته، واسوته، وامامه، وقائده، ويضمّر له الحب الكبير فان سلوكيات هذا الشخص سوف تنعكس عليه بشكل لا-إرادى. فإن أحب الانسان شخصا كالنبي (صلى الله عليه وآله) الذى هو حبيب الله ورسوله، وصاحب الخلق العظيم، والآداب الرفيعة، والسلوك السامى، فانه - بالطبع - سوف يبرمج فكره، وسلوكه، ولاوعيه طبقاً لحياته (صلى الله عليه وآله). يخطئ من يزعم ان اكثر اعمال الانسان تصدر منه قسرياً، بل انها على العكس من ذلك تأتى بصورة عفوية وبدون تكلف، ولكن هناك حاجزاً لابد من التذكير به عسى ان يكون هذا التذكير مفيداً، وهذا الحاجز يتمثل فى اننا نحب الرسول (صلى الله عليه وآله)، واننا نحرص على ان نربى اطفالنا على حبه وحب الأئمة (عليهم السلام) ولكن المشكلة اننا لا نعرف سلوكه، فعندما نرى ان حياتنا مختلفة عن حياته (صلى الله عليه وآله) فالسبب فى ذلك يعود الى قلة معرفتنا بسيرته. ان علينا ان ننظر الى حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ كيف كان يمشى، وكيف يصافح، ويتسم، وييكى، ويقوم، ويجلس... فهذه كلها آداب وبرامج نحن بعيدون عنها ولو عرفناها معرفة كاملة لاستطعنا التكيف معها.

### لا للمعرفة المجزأة

وهناك ملاحظة اخرى وهى ان معرفتنا بالرسول (صلى الله عليه وآله) يجب ان لا تكون معرفة مجزأة فعلياً ان لا نعرفه (صلى الله عليه وآله) كقائد، ثم نجهله كمعلم ومرب، ثم نجزئ هذه المعارف عن بعضها لتكون مجموعة نقاط غير مترابطة مع بعضها، فمثل هذه المعرفة الناقصة والمشوهة لاتدفعنا الى اتباع النبي (صلى الله عليه وآله)، بل لابد ان نجعل معرفتنا بحياته وسيرته معرفة متكاملة؟ أى ان

ننظر اليه (صلى الله عليه وآله) من خلال معرفتنا بسيرته، وكأننا ننظر الى شخص حاضر امامنا، وحينئذ سيصبح النبي (صلى الله عليه وآله) امامنا حقاً، ومن اصبحت الرسول امامه اهتدى حتى في بعض السلوكيات التي لم نجد الحديث عنها في التأريخ بشكل مباشر، فنحن في هذا المجال نستطيع ان نتصور ان الرسول (صلى الله عليه وآله) لو كان موجوداً فماذا كان سيفعل؟ وذلك من خلال معرفتنا بسائر أبعاد شخصيته.

### غبن و خسارة

ان من الغبن والخسارة والحرمان ان يعيش الانسان المسلم سنوات طويلة من عمره وهو لا يعرف ائمة، ولا يعتقد بهم إلا اعتقاداً سطحياً وعابراً. وعلى سبيل المثال فاننا نذكر الامام علي (عليه السلام) دون ان نتمتع في شخصيته وهكذا الحال بالنسبة الى سائر الائمة (عليهم السلام) فنحن لانعرف عنهم إلا مقتطفات نسمعها من بعض الخطباء الذين لا يذكرون إلا بجانب بسيط من حياتهم، أفليس من المؤسف ان نكون مقصرين في معرفتهم في حين ان معرفتهم هذه من شأنها أن تنجينا في الدنيا والآخرة كما تؤكد على ذلك الروايات. فلنحاول - اذن - ان ندرس حياة النبي (صلى الله عليه وآله) وحياة الائمة (عليهم السلام) دراسة من منظار جديد يعيننا على ان نعيش وفقاً لبصائرهم وسلوكياتهم، ولنعلم ان هذا هو السبيل الوحيد لحياء الاسلام، ونشره في ارجاء المعمورة.

### النبي محمد وسيلة الرحمة

حقيقته وجود الانسان ونسبته الى هذا الكون لا تحدد من خلال نظرة محدودة الى حياته وحياة هذا الكون العظيم من حوله، لكن نظرة واقعية تنطلق من أفق علمي ربما تكشف للانسان أنه لا يتفاعل إلا مع جزئيات محدودة من هذا الوجود وأن حياته ليست إلا لحظة من عمر الزمن إذ الزمن يمتد ويمتد الى ما لا نهاية له في علمنا وكذلك الى المسافة التي لا نهاية لها في علمنا، فقبل عالمنا هذا ألف ألف عالم وقبل آيينا آدم على نبينا وعليه السلام ألف الف آدم. ولعل مقارنة نسبية تكشف جانباً من واقع حياة الانسان ووجوده بالنسبة الى الكون والوجود كله. فحين يُسأل الانسان نفسه عن نسبته الى هذه الارض التي يعيش عليها، بمعنى أنه لو جعل نفسه في كفة والارض في كفة أخرى سيقف على حقيقة أنه ليس إلا كنسبة حصة صغيرة الى صحراء مترامية الأطراف وليس إلا كقطرة في بحر قمقام، ولن يجد نفسه إلا حلقة صغيرة في سلسلة بنى آدم بل هو بالنسبة الى عمر الدهور والازمان لمحّة أو لحظة لا تكاد تذكر. هذه نسبة الانسان الى الارض وذات النسبة هي نسبة الارض الى العناقيد والمجرات المحيطة بها، وحين يريد أحد العلماء ان يقرب لنا هذا المفهوم ويصور لنا هذه الحقيقة يقول: تصور أنك تدخل مكتبة عظيمة تضمّ مليون كتاب وأنت تبحث فيها عن اصغر الكتب حجماً ومن ثمّ تبحث عن اصغر صفحة وعن اصغر سطر في تلك الصفحة وعن اصغر كلمة في ذلك السطر ثمّ عن اصغر حرف في تلك الكلمة، فالارض ذلك الحرف بالنسبة الى محتوياتها من الكتب والصفحات والاسطر والحروف. وهذا عالم فلكي آخر حينما يريد أن يحدد لنا العلاقة ويبين لنا النسبة بين حجم الارض وحجم هذا الكون الرحيب يقول: أرضنا هذه وما حولها من كواكب وحتى المنظومة الشمسية هذه جميعها ليست إلا كسمكة من هذه الاسماك الصغيرة التي ترتاد شواطئ البحار وسواحل المحيطات والى الحيتان الموجودة في هذه البحار، ولكي تتكامل الصورة ويتضح هذا التشبيه وهذه النسبة نقول: إن هذه الشمس العملاقة الكبيرة بدرجة أن الارض لو القيت فيها لكانت ككرة صغيرة ترمى في ملعب كبير أو كحجارة في صحراء، شمسنا هذه لها في هذا الكون مقبرة تدفن فيها، فالله جلّت قدرته جعل في هذا الفضاء الواسع مقبرة للشموس، مقبرة تستوعب كل الشموس حين ينتهي مفعولها، بل حين يشاء الله سبحانه ذلك، حيث تؤخذ وترمى في هذه المقبرة التي يطلق عليها الحفرة السوداء أو المظلمة (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ - وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) (التكوير / ١-٢) مقبرة لا- تمتلئ بالشموس التي ترمى فيها. هذا الخلق العظيم حين يتضح للانسان لا بد وأنه سيتصور الجانب الآخر ألا وهي الجنة التي وعد الله عباده المتقين في الدار الآخرة حيث أن هذا الكون بعظمته ليس بالنسبة للجنة إلا

شيئا يسيراً بسيطاً (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ) (آل عمران / ١٣٣) وهذا انما يعنى أن الجنة أوسع من كل هذه السماوات وهذه المجرات وكل الاجرام السماوية التي يعجز الانسان عن تصورها إلا أن يشاء الله تعالى بما يهبه للانسان من سلطان العلم (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْمَ تَطْعُمُ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) (الرحمن / ٣٣) هذا خلق الله جلّت قدرته، ولكن الذى ينبغى لنا هو أن نسأل أنفسنا عن دلالة هذا الخلق العظيم؛ وعلام خلق الله تعالى هذه الكائنات والمخلوقات، إذ لا شك أن لها دلالة على أمر أساسى حساس، ووعينا وادراكنا لهذا الامر هو الذى يشكل حجر الزاوية ويضع لبنه الأساس فى بناء معارفنا وتطوير أفكارنا وكياننا الثقافى، وليس ذلك إلا رحمة الله تبارك وتعالى التى بها خلق الشمس والقمر والنجوم وكل المخلوقات فانه سبحانه وتعالى يقول: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) (الاعراف / ١٥٦). وهذا يعنى أول ما يعنيه أن رحمته تبارك وتعالى واسعة، فكما أن علم الله سبحانه وتعالى نافذ فى كل شيء كذلك هي رحمته أحاطت ووسعت كل شيء، ولعل الواقع المنظور والحقيقة المعروفة بالتفكر العلمى العميق لا تسمح أن نمثل سعة الرحمة الالهية بمثل البحار وأمواج الانوار وما إلى ذلك من المحسوسات المرئية والمتصورة فى حدود تفكير الانسان إذ هي أمثلة بسيطة ضعيفة فى المقام إذا ما قورنت بما وسعت رحمة الله تبارك وتعالى، وبتعبير آخر يمكن أن نقول أن هذه الآيات والدلالات كخلق الشمس والقمر والكواكب إن هي إلا- رحمة منه تعالى، لكن الرحمة الربانية أوسع وأكبر وأعظم من هذه الآيات كلها. فالتعبير القرآنى الدقيق يقول: (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً) (غافر / ٧) ومنه يتجلى محتوى أبعده وأعظم وتبدو فكرة أدق إذ كل شيء لم يكن مخلوقاً أو موجوداً لولا- رحمة الله تعالى، لأن الله سبحانه هو الرحمن الرحيم، خلق الاشياء برحمته، وهنا لابد من الإشارة إلى فكرة أو بصيرة معينة، وهي أن هذه الرحمة الإلهية لها وسيلتها، فالله عز وجل عندما أراد أن يبعث النور الى الأرض خلق الشمس والقمر، وجعل الشمس ضياءً والقمر سراجاً منيراً، وحين أراد أن يروى هذه الأرض من عطشها بعث بالسحب من أقاصى البحار والمحيطات تحمل المياه، ثم أمر بالرياح المبشرات أن تحمل هذه الملايين من الاطنان من الماء الى أعالي الجو تلك السحب التى قد تبدوا لأول وهلة أنها ليست إلا- قطرات من الماء حملت عبر زجر هذه الرياح لتقطع المسافات الشاسعة وآلاف الكيلو مترات ثم تهطل على القمم السامقة الشامخة من الجبال وعلى الصحارى والوديان رواءً (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) (الروم / ٤٦)، هذه وما لا يعد ولا يحصى مثلها هي وسائل الرحمة الالهية، فحين أراد الله أن يخلق الانسان فى هذه الأرض جعل لخلقه الوسيلة اذ جعل له أباً وأماً وسيلتين لخلقه ولو شاءت الارادة الالهية أن ينبت الانسان من الأرض كما ينبت النبات لكان قد جعل فى الأرض الوسيلة لتحقيق ذلك، وهو جلّت قدرته حين أراد أن يرزق الانسان من الخيرات جعل فى الأرض وسيلة لنمو الاشجار والنباتات بما هيأه تعالى من ماء وتربة ومزارعين. اذن فله فى خلقه وسائل ورحمته لها وسائل، فما هي الوسيلة الاساسية المثلثية التى خلق الله بها هذا الكون؟ ونحن حين نطرح تساؤلاً عن كيفية حدوث الشمس وتكونها على ما هي عليه الآن، على واحد من علماء الفضاء فانه سيجيب بأدلته الخاصية بان الشمس كانت مجموعة من غازات مثل الهليوم وغيره ونتيجة جاذبية هذا الكوكب تكثفت هذه الغازات وتكونت الشمس، بل لعل تصور العلماء عن مستقبل المشتري، هذا الكوكب العملاق الذى يدور حوله ستة عشر قمراً او سبعة عشر قمراً؛ بأنه بعد عشرة ملايين أو عشرين مليون سنة أو أكثر أو أقل سيصبح شمساً لما تحدث فيه من التفاعلات والتحولات الذرية التى هي بدورها وسيلة لصيرورته شمساً فى المستقبل، وهذا هو أحد الاحتمالات الهامة التى يطرحها علماء الفضاء، فهم بتعليلاتهم يطرحون الادلة والوسائل والاسباب التى جعل الله تعالى الشمس شمساً والقمر قمراً والأرض أرضاً، بل ويؤكدون بان كل شيء يخلق بوسيلة، ومنه يتبادر الى الذهن التساؤل عن وسيلة أصل الخلقة، وأن الله تعالى لما أراد أن يكون هذا الكون وأن يخلق بوسيلة فما هي تلك الوسيلة إذن؟ إرادة الله تبارك وتعالى هي أن يرحمنا، ومشيئته ان يفيض برحمته على هذا الكون وأن يتجلى بأسمائه الحسنى على هذه المخلوقات، فقد شاءت ارادته أن يجعل هذا الخلق وسيلة فخلق نوراً لكنه رباه وحسنه وبلوره ونمّاه فكان وسيلة لخلقة الكائنات، وذلك النور هو نور نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، نور الرحمة. وحين نقول لخلقة الكائنات فلا نعنى خلقه هذه الأرض فحسب إذ هي - كما سبق لنا القول - ليست إلا ذلك الحرف الصغير فى المكتبة العظيمة او تلك السمكة

الصغيرة على شاطئ البحر، بل تلك الحصاة في الصحراء المترامية الأطراف، وانما نعني مئات المليارات من العناقيد والمجرات التي تضم بدورها المليارات من الاجرام السماوية، ولعل كلمة المليار تبدو للوهلة الأولى بسيطة لن تعدو عن كونها لفظة لسان فحسب لكن الحقيقة أن المليار الواحد ربما يستغرق المئات من السنين عدداً، هذه هي الدنيا، فما بال الانسان بالآخرة والجنة التي هي أعظم وأوسع، كل هذه المخلوقات خلقت بأسماء الله الحسنى. فكيف إذن خلق الله تعالى هذا النور حتى صار رحمته الله الواسعة. هنا لابد وأن يكون الذهن مهياً مستعداً لادراك فحوى الرواية عن الامام على بن أبي طالب (عليه السلام)، إذ هكذا روايات يصعب عادة فهمها، لكننا وبما تقدم من التمهيد لعلنا نكون وفقنا لتهيئة المناخ الذهني لاستيعاب بعضاً من جوانب هذه الرواية عن الخصال والمعاني باسناد الى جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جدّه على بن أبي طالب صلوات الله عليهم قال: "ان الله خلق نور محمد صلى الله عليه وآله قبل خلق السموات والأرض والعرش والكرسى واللوح والقلم والجنة والنار" ... أما ماهو اللوح وماهو الكرسى والعرش فهذا بحث آخر لعلنا نأتي عليه مستقبلاً إن شاء الله.. "، وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان، وكل من قال الله عز وجل: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ - وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ - وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ - وَمِنْ عِبَادِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الانعام / ٨٤ - ٨٧) فكان خلق نور محمد (صلى الله عليه وآله) قبل ذلك بأربعمئة ألف واربعة وعشرين سنة قبل خلق الانبياء كلهم وقبل الجنة والنار والعرش والكرسى واللوح والقلم "، وخلق الله معه اثني عشر حجاباً " ولعل هذه الحجب - والله أعلم - هي درجات يرتقى النبي (صلى الله عليه وآله) عبرها " حجاب القدرة وحجاب العظمة وحجاب المنّة وحجاب الرحمة وحجاب السعادة وحجاب الكرامة وحجاب المنزلة وحجاب الهداية وحجاب النبوة وحجاب الرفقة وحجاب الهيبة وحجاب الشفاعة، ثم حبس نور محمد (صلى الله عليه وآله) في حجاب القدرة اثنتي عشر ألف سنة " كان النبي (صلى الله عليه وآله) نوراً في هذه السنين المتطاولة " يقول: سبحان ربّي الأعلى " أى النور في حجاب القدر كان يسبح طول هذه السنين يقترب في كل مرة من رب العزة " وفي حجاب العظمة أحد عشر ألف سنة وهو يقول: سبحان عالم السرّ، وفي حجاب المنّة عشرة آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو قائم لا يلهو وفي حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان الرفيع الأعلى، وفي حجاب السعادة ثمانية آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو دائم لا يسهو، وفي حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو غنى لا يفتقر، وفي حجاب المنزلة ستة آلاف سنة وهو يقول: سبحان ربّي العلى الكريم، وفي حجاب الهداية خمسة آلاف سنة وهو يقول: سبحان ذى العرش العظيم، وفي حجاب النبوة أربعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان ربّ العزة عما يصفون، وفي حجاب الرقعة ثلاثة آلاف سنة وهو يقول: سبحان ذى الملك والملكوت، وفي حجاب الهيبة ألفى سنة وهو يقول: سبحان الله وبحمده، وفي حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول: سبحان ربّي العظيم وبحمده، ثم أظهره عز وجل فكان على ساقى العرش سبعة آلاف سنة الى أن وضعه الله سبحانه في صلب آدم " فكل حجاب من هذه الحجب هو اسم من اسماء الله تبارك وتعالى وكل حجاب من هذه الحجب درجة من درجات القرب الى الله سبحانه وتعالى، والنبي (صلى الله عليه وآله) في كل حجاب من هذه الحجب وفي كل درجة من هذه الدرجات يسبح الله وحده، يوحد الله عز وجلّ يسبح الله وينزهه، فكان النبي (صلى الله عليه وآله) أول العابدين في ذلك الكون. فاذا كان هناك سماء مبنية وأرض مدحية أو كان فلك يدور وبحر يموج ويمر ومياه تجري في هذا العالم كالنيل والفرات وسيحون وجيحون والدانوب والمسبى وكل البحار والمحيطات كلها عبر قناة نبي الرحمة إذ هو الوسيلة للرحمة الإلهية، الوسيلة الى كل الكائنات، الى الحور العين، الى الجنة والملائكة جبرئيل وميكائيل وعزرائيل واسرافيل (عليهم السلام)، بل والى اللوح والقلم واكثر من ذلك الى الروح وهو أعظم الملائكة. ونحن ايضاً إذا ما أردنا نعمة أو رحمة، إذا أردنا فضيلة أو تقوى حب او ود، إذا أردنا كرامة وتقدم أو قدرة وهيبة انما ذلك بوسيلة الرحمة بنبي الرحمة صلوات الله عليه وعلى آله. وهذه كلها حجب النور أو بحار النور كما في رواية أخرى، إذ كلها أنوار، فالكرامة نور والهيبة نور والقدرة نور والعزة نور



والرحمة نور والشفاعة نور بدورها أيضاً وتلك هي اسماء الله الحسنى التي كَوْنَت النبي (صلى الله عليه وآله)، فليس لطالب واحد من هذه الانوار إلا أن يلتزمه عن طريق النبي محمد (صلى الله عليه وآله) نبي الرحمة ووسيلتها وعن طريق أهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين. هذا النور الالهي قَسَمَهُ الله تعالى الى ثلاثة أقسام، قسم هو نور النبي (صلى الله عليه وآله) وقسم نور الصديقة الكبرى سلام الله عليها والقسم الثالث نور الامام علي (عليه السلام) والأئمة عليهم السلام، ولاريب أن قبساً وومضاً من هذا النور كان نصيب المؤمنين فانتشر عليهم، ودليله الايمان وحب النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين وأيضاً هذا الالتزام من المؤمنين بولايتهم بحضور المجالس المعقودة لذكرهم، إذ هذه المجالس روضة من رياض الجنة ومنهلاً بين يدي الانسان يروى منه ضمأه وعطشه وليس الغرض منها مجرد الحضور البدني والشهود الذهني عن نورها بمغريات الحياة ومشاكلها والخروج منها صفر اليدين، فالمجالس المعقودة لذكر فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) ولذكر الحسين والأئمة (عليهم السلام) انما هي البساتين التي يجنى منها الانسان ما يلذ له من الثمار وما تصفو به نفسه وتكتمل شخصيته بتكامل معارفه وبالتالي تغدو سَلماً يرتقى به الى المراتب العليا، لذا فالحق أن يقال أن المؤمن لا يجب أن يكتفى بهذه القطرات من الدموع، وإن كانت هذه الدموع تطفئ دياناً من نار جهنم إلا أن الدموع المصحوبة بالمعرفة والبصيرة المستنيرة بالنور النبوي العظيم هي التي تأخذ بيد المؤمن وستكون وسيلة يجتاز بها الحجب وبالتالي الحصول على وسيلة الرحمة، ومن هنا لابد للانسان المؤمن أن يكمل نوره بنور ولايته فيها تقبل الطاعات والعبادات، فكم من صلاة مرفوعة وكم من صلاة مدفوعة وكم منها مقبول وكم منها غير مقبول، ذلك مرتبط ارتباطاً وثيقاً لا ينفصم بمقدار النور وبمقدار الولاية وبمقدار التسليم لله تعالى. فصلاة ركعتين يؤديها الانسان لا تستغرق من الزمن إلا دقائق هي نفسها الدقائق التي تستغرقها صلاة امام المتقين على أمير المؤمنين (عليه السلام)، لكن الصلاتين في ميزان الاعمال تختلفان للاختلاف الشاسع في مدى المعرفة ومستوى التسليم لله الواحد الأحد، بل وهذه المعرفة وهذا التسليم لا يتم إلا بآيات الله تبارك وتعالى وبأسمائه ومن أسمائه بنوره، وقد تبين لكل ذي لب أن الاسماء الحسنى هم أهل البيت الطاهرين صلوات الله عليهم والولاء لهم، والتمسك بنورهم الذي يزيدنا نوراً ومعرفة بهم وتسليماً لهم وإيماناً وتصديقاً بكلماتهم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

## النبي الشاهد

### اشاره

قال تعالى - في وصف النبي (صلى الله عليه وآله) والثناء عليه: - (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا - مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا - وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا - هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَىٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا - تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعِدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا - وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا - وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا). (الاحزاب / ٣٩ - ٤٧) يصف القرآن الكريم النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) سيدنا وشفيعنا وقائد مسرتنا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) بصفات كريمة شتى؛ فهو رحمة للعالمين، وهو مبشر ونذير، وسراج منير، ورسول الى البشرية كافة.

## الشهادة في الطليعة

والصفة التي اريد ان اتحدث عنها في هذا الفصل هي صفة " الشهادة، " ففي اكثر من موضع يؤكد القرآن الكريم على ان النبي (صلى الله عليه وآله) شاهد: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) (الاحزاب / ٤٥). بل ان هذه الصفة تأتي في بعض الاحيان في طليعة

الصفات الذى يشبها الخالق - تعالى - للنبي (صلى الله عليه وآله) كما لاحظنا فى الآية السابقة. ولقد اخترت هذه الصفة لكونها صفة مشتركة بين الرسول وبين من يتبعه من المؤمنين؛ فالنبي (صلى الله عليه وآله) شاهد على الأمة، والأمة الاسلامية المؤمنة - بدورها - شاهدة على الامم الاخرى. وعلى هذا فان (الشهادة) تمثل كلمة ينبغى ان نقف عندها طويلا نتدبر فيها لانها الجسر الممتد بيننا وبين رسولنا، وبيننا وبين قائدنا، فماذا يعنى هذا المصطلح، وماهى ابعاده؟ قبل ان نبين معنى هذه الصفة الكريمة فى حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) - أرى - من الضرورى ان امهد لذلك بمقدمة تسهل عملياً فهم مغزى هذا المصطلح: من المعلوم ان الانسان يمثل وجوداً ليس كسائر الوجودات؛ فأفاه لا تحدد، وحياته ممتدة من الناحيتين؛ الزمانية والمكانية، وعلى الواحد منا ان يعلم فى هذا المجال انه كان قبل ان يهبط على هذه الأرض فى صلب ابيه آدم فى الجنة، والذى كان هو وزوجه حواء ضيفين كريمين على ربهما فى مضيف الله - سبحانه وتعالى - المتمثل فى الجنة واكرم بها من مضيف... وقبل ان يكونا كذلك كانت البشرية فى عالم الذر، وقبل عالم الذر كانت فى عالم الاشباح حيث خلق الله - تعالى - الارواح قبل الابدان بألفى عام لا يدري هل هى من اعوام الدنيا ام الآخرة. ومن جهة أخرى فبعد حياتنا القصيرة هذه فى الدنيا ستكون لنا حياة ممتدة فى عالم البرزخ الذى يشير اليه - تعالى - فى قوله: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المؤمنون / ١٠٠). وبعد هذا العالم سنمثل للحساب فى يوم القيامة لمدة خمسين الف عام، ونحن لانعلم هل سنبقى فى القبر لعشرات السنين ام لمئات ام لآلاف او ملايين السنين لان التاريخ الدقيق لقيام الساعة لا يعلمه إلا الله - عز وجل - لقوله: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا) (الاعراف/ ١٨٧). فالله هو وحده الذى يمتلك علم الساعة، فلا يجليها لوقتها إلا هو..

### خلود لا متناه

وبعد ان تمر الخمسون الف عام فى يوم القيامة يأتى الخلود اللامتناهى حيث الزمن المطلق، وحيث يقف التفكير عاجزاً كلياً عن اكتناه معنى الخلود، فهل يستطيع الواحد منا ان يعرف الخلود وان يقيسه حتى لو كانت لديه اضعف الكومبيوترات وأكثرها دقة؟! واما عن العمق المكانى فيكفيك ان تعرف انك جزء من ارض هى جزء من منظومة، والمنظومة بدورها هى جزء من ملايين المجرات التى لا يعرف الانسان عنها شيئاً! ترى ماذا يعنى قول الله - عز وجل - فى القرآن الكريم عندما يقول عن رسوله الكريم: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الانباء / ١٠٧). فما هو العالمون؟ انه عالم الوجود بما فيه من ملايين المنظومات والمجرات، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) جاء رحمة لهذه العوالم كلها، فحدود الانسان - اذن - لا تنتهى.

### مخزن طاقات هائل

وإذا ما غرضنا النظر عن هذا الحساب التجريدى الفلسفى، وقسنا الأمور بمقاييس مادية محدودة كما تعودت على ذلك اذهاننا، رأينا ان الانسان يمتلك من الطاقات والقدرات ما لا يمتلكه أى كائن آخر؛ فهو يستطيع ان يصبر على الحر والبرد اكثر من أى حيوان آخر، ويستطيع ان يعدو اسرع من الغزلان والفهود، كما ان هذا الانسان الذى يبدو بسيطا استطاع الآن ان يصنع اسلحة تعمل بأشعة الليزر وبامكانها ان تفنى الكرة الأرضية، كما وبعث مركباته الى الكواكب الأخرى ومن جملتها القمر، وهكذا فقد دخل فى أعماق الفضاء، وهزم حاجز المسافات...

### الشیطان آفة الانسان

ومع كل ذلك، ومع وجود هذه القدرات الخارقة فقد سلط على هذا الانسان الشيطان الذى يقيم من حوله جدراناً قد لا يستطيع ان يخترقها، ترى ماهو هذا الجدار؟ وماهى تلك الزنانه التى يعتقل الشيطان الانسان فيها فيوحى له باليأس، وضعف الارادة وعدم الثقة

بالنفس؟ فالشيطان يوحى للانسان بأنه كائن حقير، فيمنعه بذلك من التقدم، والانطلاق، ومن ان يجعل من نفسه انساناً كاملاً. هل فكر الواحد منا ولو للحظات لماذا لا- يصلى صلاة الليل، ولا- يكون كأبى ذر، وسلمان، وعمار وغيرهم من القمم الشاهقة فى البطولة والانسانية، ولماذا لا يتبع سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ ان هذه تساؤلات يستطيع كل واحد منا ان يوجهها الى نفسه، فلنفكر ولنتدبر فى نفوسنا لكى نعرف نقاط الضعف فيها، والثغرات التى ينفذ من خلالها الشيطان اليها، فالشيطان يخيفك، وعندما تريد على سبيل المثال ان تقوم الليل لتبتهل الى الله - سبحانه وتعالى - فانه يوحى اليك بانك بحاجة الى الراحة والنوم لان امامك فى الغد مشاكل، واعمالاً، ودراسة... وهكذا الحال عندما تريد ان تقوم بعمل جبار كأن تتحدى الطغاة وضغوطهم، فانه يثبط من عزيمتك من خلال اخافتك... وعندما تريد ان تصبح انساناً تقياً طاهراً فان الشيطان يقف لك بالمرصاد ايضاً، فيوحى لك بان الناس جميعهم يكذبون ويحتالون، فلماذا لا تكون مثلهم لكى لا تأكلك الذئاب؟

### اليأس سلاح شيطاني

ان السلاح الفاعل للشيطان هو ان يبعث اليأس فى نفسك، ويسجنك فى زنزانه استصغار واحتقار قدراتك وطاقاتك، فيوحى لك بانك لاتستطيع ان تتبع الشخصيات المثالية العظيمة... تريكيف نستطيع ان نقاوم هذا السلاح ونبطل مفعوله؟ ان البشرية - مذ ظهرت - كانت تكرم الابطال، وتقصد البطولات، لادن الابطال هم الذين يخترقون حاجز اليأس، ويثبتون للناس ان باستطاعتهم ان يبلغوا ما يريدونه، وهذا هو السبب الذى دفع البشرية الى ان تكرم وتقدر النوايح، والعلماء الذين قدموا خدمات جليلة لها وذلك لانهم استطاعوا اختراق الحواجز الشيطانية. ان الله - جلت قدرته - اراد ان يمنح للبشرية القدرة على تحطيم حواجز اليأس والضعف والمسكنة والحقارة، فبعث رسوله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله)، فاذا به يصبح شاهداً بشهادة قوله - تعالى -: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً). (الاحزاب / ٤٥)

### ماهى شهادة النبى؟

ترى ماهى شهادة النبى (صلى الله عليه وآله)؟ ان شهادته هذه تتمثل فى انه نهض لوحده ضد الجاهلية التى اطبقت على الارض، فالاصنام كانت تعبد حتى فى بيت الله الحرام، فكان الناس يعيشون فى الظلم. الامبراطورية الفارسية من جهة، واليونانية الرومانية من جهة أخرى، والجهل والمرض والفقر مخيم فى كل مكان... وفى هذه الفترة بالذات بعث الله - عز وجل - النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله) لا لكى يحطم الاصنام فى الجزيرة العربية فحسب، وانما لكى يؤسس دولة اسلامية تكون القدوة للدول الاسلامية الاخرى فى سائر العصور، وليكون رحمة للعالمين، ويحرك البشرية باتجاه الحضارة والرقى والتكامل، لكى يكون دين الله هو السائد على الدين كله ولو كره المشركون. وهكذا قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكل جزء من اجزاء حياته شاهد على البشرية، وكل لحظة من لحظات عمره الشريف المبارك كانت سراجاً منيراً للبشرية، ورحمة لها، وعندما يعود الى مكة بعد هجرته الى المدينة وتأسيسه للمجتمع الاسلامى فيها يقول لأهلها وقلبه مفعم بالرحمة، والحب، والتسامح " اذهبوا فأنتم الطلقاء [٩] رغم انهم قاوموه، واخرجوه من بلده، وفرضوا عليه ذلك الحصار الجائر الذى اودى بحياة اثنين من حماته، ومن اعز الناس عليه ألا وهما؛ زوجته خديجة الكبرى، وعمه ابو طالب...

### اخلاق استوعبت البشرية

هذا الخلق العظيم، وهذه الرحمة التى استوعبت البشرية كلها، كانت تجمع الى جانبها الشجاعة الفائقة، والبطولة العديدة النظير الى درجة ان الامام علياً (عليه السلام) الذى يضرب به المثل فى الشجاعة كان يقول " كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله (صلى الله عليه وآله)



وآله) فلم يكن أحد منا أقرب الى العدو منه. [١٠]. وعندما يفقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حاميه المؤمن أبا طالب (عليه السلام)، يخرج (صلى الله عليه وآله) باسلامه من مكة الى الطائف لعله يجد في هذه المنطقة من يحميه، ويصطحب ابنه المتبنى زيد بن حارثة، وإذا بأهالي هذه المدينة يستقبلونه أسوأ استقبال، فيغرون الاطفال والصبيان به. ومع كل ذلك فقد... "قام (عليه السلام) عشر سنين على أطراف اصابعه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك فقال الله عز وجل (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) بل لتسعد به، ولقد كان يبكى حتى يغشى عليه فقل له يا رسول الله أليس الله عز وجل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال بلى أفلا أكون عبداً شكوراً" [١١] فيضرب بذلك المثل الأعلى في الخلق العظيم الى درجة ان رجلاً يأخذ بتلاييه في احدى المرات، ويحاول خنقه، الا ان الرسول (صلى الله عليه وآله) يضحك في وجهه، ويصلحه. وفي مرة أخرى يشهر رجل آخر من المشركين السيف في وجهه الكريم (صلى الله عليه وآله) قائلاً له: من ينقذك مني؟ ويحاول ان يضربه فاذا بقدمه تزل، فيقع على الأرض، فيأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) السيف، ويقف عليه، ويقول للرجل المشرك: والآل من ينقذك مني؟ فيقول الرجل: حلمك يا محمد، فيعفو عنه، رغم ان هذا الرجل كان قائداً للجيش المحارب للرسول (صلى الله عليه وآله)، وبركة هذا العفو يدخل هذا القائد هو وجيشه الاسلام من دون ان تراق أى قطرة دم. ومن خلقه العظيم ايضاً انه كان يكرم ابنه حاتم الطائي لان اباها كان كريماً، وكان يقول لها: "لو ان اباك كان مسلماً لاستغفرنا له، وترحمنا عليه." ومن عظيم سجاياه ايضاً انه كان يدعو لقومه قائلاً: "اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون" [١٢] رغم انهم كانوا يؤذونه، ويصبون عليه وعلى اصحابه الويلات، والعذاب. كل ذلك لكى يصبح الرسول (صلى الله عليه وآله) شاهداً علينا، ويكون قدوة لنا كما يقول - تعالى -: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) (الاحزاب / ٢١). وهذه الشخصية العظيمة انما تكون قدوة لنا إذا سرنا على خطها، وكنا في مستوى التأسي والافتداء بها.

## قدوة المؤمنين

### اشاره

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الانسان ليكون اشرف واكمل واسمى خليقته على هذه البسيطة، بل من اجل ان يستضيفه الى دار الخلد والنعيم.. الى الجنة.. كما سخر له كافة الكائنات والمخلوقات الأخرى في خدمته ومن اجله، حتى جعل الملائكة التي نزهت من كافة الفواحش والذنوب في خدمته هذا الانسان، بل فوض تعالى الانسان قيادة وخلافة الارض مالم يفوض اى من مخلوقاته.. (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة / ٣٠).. لماذا؟ هل لان هذا الانسان اضخم واكبر حجماً وطولاً من هذه الجبال والكواكب والمعادن و..؟ كلا.. ان الله سبحانه فعل ذلك بعد ما زود الانسان بنور العقل وقوة الارادة، ومنحه قدرة الاختبار والانتخاب؛ ان شاء اختار سبيل الهدى، وان شاء اختار طريق الضلال.. (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (الانسان / ٣). لذا حينما يتجاوز هذا الانسان بارادته العقبة ويقتحمها ويتسامى، فانه يستحق العظمة، ومن يباهى ربنا ملائكته به.. وما ادراك ما الملائكة؟

## الانسان اسمى من الملائكة

انهم يزمام ايديهم ادارة حركة الرياح و الشمس و الارض و السحاب بتوكيل وبقدرة البارئ عز وجل، بالرغم من ذلك فان الله يجعل شأن عبده الانسان ويفضله على ملائكته.. بل.. ان ذلك العبد الذى ارتخت جوارحه في جوف الليل، وفي تلك الليلة الباردة التي سكنت فيها الانفاس وهام ظلام الليل على اهله، وهو يرقد على فراشه الوثير، ثم تدغدغه ساعة اللقاء والوصل بمقام العزة والربوبية فينتزع نفسه قبل اذان الفجر من فراشه ليتوضأ، ثم ليستقبل القبلة مناجياً المولى القوى العزيز يطلب منه العون والقرب والكمال.. انه

يركع ويسجد ويخشع قلبه خوفاً من غضب الله، ورجاءاً في ثوابه وجزيل آلاؤه.. هذا الانسان لا يحق للملائكة ان تشكو الله تفضيله عليها، وذلك لان هذا الانسان المؤمن قد استجمع كافة عوامل الضعف في وجوده المادى وجسده النحيف، الا انه قوى بارادته. فلهذا يقتحم كافة عقبات الضعف والهوان المادى بتوكله على الله القوى العزيز ليدخل في حصن الرب، ورياض الرحمة الربانية.

### سباق التكامل

ان الملائكة لم تعان من عوامل الضعف والهوى، حتى تتسلق مدارج الكمال والرقى والقرب الالهى خطوة.. خطوة، غير ان الانسان يصارع بارادته كل يوم بل كل لحظة كافة عوامل الضعف الموضوعه امام مسيرته في هذه الحياة كيما يحرز على قصب السبق رجاءاً وطمعاً في رحمة الله اللامتناهية. اذن؛ ان قصة مسيرة الانسان على وجه هذا الكوكب الارضى، هي قصة صراع الارادة وسباق التكامل والرقى البشرى.. ففي هذه المسيرة ينبغي وجود بعض القدوات والنماذج الطيبة التى تستدعى الاقتداء بها والوصول الى سلالمة الكمالات الانسانية، وذلك لما تتمتع به هذه القدوات من صفات انسانية عالية تستحق التأمل والاعتبار. ومن هنا تتجلى احدى جوانب مهام الانبياء والرسل والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، كيما يكونوا قدوات واقعية وميدانية ونماذج متحركة وحية، وترجمان لفحوى التعاليم والقيم الالهية امام انظار الناس.

### القدوة.. ضرورة

ان هؤلاء الانبياء العظام والقدوات المباركة عرفوا قدر حياتهم ووجودهم فتسابقوا صوب نعيم البارى عز وجل، فكانوا ينظرون الى الحياة باعتبارها جسراً وطريقاً للوصول الى الجنة، بل كانوا يستشعرون الجنة فى الدنيا، وكذلك عذاب النار وهم يعيشون حياة الدنيا. من هنا يتساءل المرء ما الذى حدى بهؤلاء القدوات العظام الى ان يقضوا كل لحظة من لحظات حياتهم فى طاعة وذكر الله سواء فى نهارهم او ليلهم؟ لقد كان نهارهم مجالاً لهداية الناس ووعظهم وادارتهم، والدفاع عن حريم القيم الالهية والوقوف امام الاعداء، وليلهم كان فسحة طيبة لمراجعة الذات والنفس والتهجد لله سبحانه.. انهم استشعروا لزيد نعيم الجنة ومدارج الآخرة، فأصبحت حياتهم كلها اخروية. لقد كانوا على يقين؛ انما ثمن هذا الجسد وهذه الروح هو الجنة، لقد عرفوا عظمة الجنة وبيوتها المنيقة التى اعدت للمؤمنين والصالحين.. تلك البيوت التى يمكن لابسطة الناس ايماناً ان يقرى ويستضيف جميع الخلائق فى بيته الذى حباها الله جزاءً على عمله الصالح فى الدنيا. ان بيتاً واحداً من بيوت الجنة تحوى على بساتين خضراء وموائد مفروشة وجوارى وغللمان مالم يحصى عددهم الا الله، فمن يرغب ان يطلق هذا النعيم الخالد فى قبالة لذائذ زائلة فى الدنيا يتبعها نار جهنم؟.. نار جهنم وبيوتها الضيقة التى لا تتسع الا على قدر مساحة اكوام من لحوم وعظام البشر المتراكمة، وهى تستغيث وتختنق من شدة العذاب! لذا يفترض علينا ان نجعل من حياة كافة انبياء الله والأئمة المعصومين (عليهم السلام) وخاصة نبينا الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله) قدوة فى حياتنا، ونجعل مسيرته خريطة متكاملة امامنا ونسعى من اجل ان نحذو حذوه ونعمل بهداه، كما فعل الامام على أمير المؤمنين (عليه السلام) فى اتباعه الكامل لحياة الرسول (صلى الله عليه وآله)، فكان يتبعه كما يتبع الفصيل لأمه.

### النبي الأكرم خير قدوة

ان هذا الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) الذى جعله البارى افضل خلقه وخاتم انبيائه، واعز خلق من مخلوقاته حتى قال تعالى فى حديثه القدسى "لولاك لما خلقت الأفلاك" [١٣]. نراه يتعب ويرهق نفسه فى جوف الليل رجاءاً فى الثواب والتقرب اليه. فقد كان (صلى الله عليه وآله) يقف متهجداً فى الليل حتى تتورم قدماه، وكان (صلى الله عليه وآله) له حبل يتعلق به حتى لا يقع من شدة التعب، وإذا جاع (صلى الله عليه وآله) يشد حجر المجاعة على بطنه، وهو مالك للمال ولكن ينفقه فى سبيل الله.. هذا ناهيك عن عظيم خلقه

وشدة حلمه وصبره على اذى قومه له.حقا نتساءل: اذا كان الرسول العظيم يفعل هكذا مع جسده طاعة لله، فماذا سوف يكون حالى وحالك انت ايها المؤمن؟! ان المؤمن الذى تشغله كل ليلة برامج التلفزيون والبث الفضائى، ثم يهوى بعدها الى فراشه، حتى يتحول - حسب تعبير الأئمة (عليهم السلام) - الى " جيفة"، فهذا حاله حال الغافلين. كثيراً من الناس يشكون من الاحلام المزعجة التى تتبعهم بالليل.. فهذا يرى الشرطة تطارده، وذاك يحلم بالبيع والشراء والخسارة، وذاك يرى الدائنين يهجمون عليه ليخنقوه.. فالسبب لذلك يرجع الى ان هؤلاء يعيشون على مدار اليوم هموم المعيشة والدنيا فقط. لابد ان نجعل للقرآن وتلاوته والصلاة وذكر الله مساحة تتسع لها اوقاتنا التى تذهب كل يوم دون رجعة.. لابد ان نروح انفسنا بتلاوة ذكر الله قبل ان ننام، ولابد ان نعيش الآخرة والموت كل يوم.. ان نزور المقابر ونترقب مصيرنا الذى سوف نؤوب اليه.. ليس من الاعمال المستحبة ان يعد ويحفر الانسان قبره قبل موته ثم ينام فيه مستعداً لساعة الأجل الحاسمة؟ لقد كان الامام زين العابدين ذلك الامام الزاهد العابد كما يقول هو (عليه السلام) يدرس حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)، بل يحفظ مغازيه (صلى الله عليه وآله) وسيرته. فاذا كانت حياة الرسول عامة هي جملة دروس لامامنا السجاد (عليه السلام)، فكيف لا تكون منهجاً وخريطة عمل لنا جميعاً؟ لقد قرأت فى كتاب (بحار الانوار) رواية حول كيفية شرب الماء عند النبي (صلى الله عليه وآله) فلقد كان (صلى الله عليه وآله) يطبق ثلاثين ادبا لدى شربه للماء.. وما هذه الامراض التى تصيب المعدة والكبد والكلية والاثنى عشرى و.. الا بسبب عدم مراعاتنا لاداب الاسلام فى الأكل والشرب والنوم و.. ان انحرافاتنا الحياتية تكمن فى حدوث الفجوة والفاصلة بيننا وبين رسولنا الاكرم والأئمة المعصومين (عليهم السلام) فانقطعنا عن فيض نورهم وهداهم، كما ينطفأ المصباح عندما ينقطع التيار الكهربائى عنه. لماذا الغاء دور القدوة؟ ان جملة من الناس عندما تسألهم لماذا لا تقتدوا بالرسول الاكرم والأئمة (عليهم السلام) يجيبك قائلا: لا يمكن لنا ان نكون مثلهم متناسين قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) (الكهف / ١١٠). ثم كيف لا يمكن لنا اتباعهم والاقتراء بسيرتهم وقد جعلهم الله لنا اسوة حسنة، وكيف يقول الامام على (عليه السلام): "الا وان لكل مأوم إماماً يقتدى به ويستضىء بنور علمه؟" [١٤]. واذا كان لنا عذر او حجة (معصومية) هؤلاء الرسل والأئمة (عليهم السلام) فما بالناس بالصديقة زينب وسيدنا العباس وعلى الأكبر والقاسم بن الحسن، وكذلك اصحاب الرسول والأئمة (عليهم السلام) كأبى ذر والمقداد وسلمان وحبيب ابن مظاهر الاسدى.. وماذا نقول فى علماء الدين العظام الذين ينتهجون سيرة الحق والتقوى؟ لماذا يصّر البعض على الغاء دور القدوة فى الحياة؟! وفيما اذا رأينا قائداً حياً ينفع الأمة (قد لا نؤمن به شخصياً مثلاً).. نضع امامه شتى العراقيل وننتفرق عنه.. وقس على ذلك الشهداء الابرار الذين ضحوا بأنفسهم الغالية فى هذا الطريق المبارك.

## شروط الاقتداء

انظروا الى الطريقة الجميلة التى يتحدث عنها ربنا فى سورة الاحزاب حيث يبدأ بذكر النبي (صلى الله عليه وآله) اولاً ثم ينتهى بذكر المجاهدين والشهداء.. يقول ربنا: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الاحزاب / ٢١). اى ان هناك ثلاثة شروط للاقتداء بالرسول حسبما يضعها القرآن الكريم فى هذه الآية المباركة: الاول والثانى: ان نرجو الله واليوم الآخر ونعتقد بأنها حق وليست بكذب، وان هذه الدنيا ليست نهاية حياتنا ومصيرنا، بل هي بداية مسيرتنا الى دار الخلد. الثالث: " واذكر الله كثيراً؛ " يعنى ان لن نغفل عن ذكر الله سواء فى السوق والتجارة او فى ساحة الحرب. ويضرب القرآن مثلاً فى هذا الصدد فيقول: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) (الاحزاب / ٢٢) اى الايمان بالله والتسليم للقيادة الربانية. ان المؤمنين لا- يلومون الرسول على شدة الوطيس وزحمة المشاكل، بل يسارعون الى مساندة القيادة ودعمها. فالذى يريد ان يتقدم يجب ان يعطى ويستقيم. ثم يقول ربنا: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الاحزاب / ٢٣). فالرجل الذى يرزق الشهادة او الذى يترقب وينتظر الشهادة هما على حد سواء.. (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا

رَجِيمًا) (الاحزاب / ٢٤).

## الصلاة على النبي و آله المعاني والدلالات

### اشاره

من أعظم التحف والهدايا والكرامات التي فضّل بها ربنا - سبحانه وتعالى - المسلمين كرامة الصلاة على محمد (صلى الله عليه وآله) وآله الأطهار. فما هي حقيقة هذه الصلاة، ولماذا أمرنا أن نصلي على نبينا (صلى الله عليه وآله) كلما ذكر اسمه وخصوصاً في المواسم والمناسبات المباركة؟

### المعاني المختلفة للصلاة

للاجابة على هذا السؤال نقول: ان الصلاة - لغةً - هي التعطف، والترؤف، والتعبير عن الحب، والحنان، والعطف لدى الانسان.. وعندما تكون الصلاة من الرب للعبد، فان هذا يعني ان الله - عز وجل - يعطف، ويترحم، ويتحنن على عبده. وعندما تكون الصلاة من الملائكة على العباد المؤمنين، فانّ هذا يعني ان الملائكة تستغفر، وتدعو لهم، وتسدد لهم، وتزكيهم، وتعصمهم من الاخطاء. وعندما تكون الصلاة من العبد لربه، فان هذه الصلاة تعني الدعاء، والتضرع والتبتل. ان كلمة الصلاة تعني في ذاتها معنى واحداً، إلا ان هذه التطبيقات والتأويلات المختلفة تطرأ عليها بحسب موقع الانسان الفاعل لها. وعلى سبيل المثال فان كلمة (افعل) تمثل صيغة الامر، وعندما تكون من العالي الى الداني فانها تكون امراً، وعندما تصدر من الشخص الى نظيره تكون رجاءً، وعندما تصدر من الانسان لمن فوقه تكون دعاءً وطلباً. وهكذا الحال بالنسبة الى الصلاة فعندما تكون من الانسان لله كهذه الصلاة التي نصليها فانها تعني حالة من الدعاء، ولذلك قال بعض علماء اللغة ان معنى الصلاة الدعاء، وهنا وقفوا حائرين؛ فاذا كانت الصلاة تعني الدعاء، فما معنى صلاة الله على عباده، وما معنى صلاة الملائكة عليهم، ولماذا نجد نفس هذه الكلمة تتكرر من ان استخدام المشترك اللفظي لا يجوز في آن واحد في معنيين مختلفين كما يقول علماء الاصول؟؟ ولحل هذا الاشكال نقول: ان الصلاة لاتعني الدعاء فحسب، بل ان معناها ايضاً التعطف، أي تعطف الانسان امام ربه، والعلاقة التي توصلنا الى الله - تعالى -، او طبيعة الرابطة والصلة بين العبد وبين ربه، فمن جانب العبد تعني الدعاء. ترى هل بامكان الانسان ان يطالب الله - جل جلاله - بشيء، وهل له على ربه حق فيطالبه به، وهل له حجة فيحتج بها على ربه؟؟ كلا بالطبع، فحتى الشكر الذي نقدمه للخالق لا يمكننا ان نقدمه إلا باعتباره يتطلب منا مزيداً من الشكر. أوليس الشكر باللسان، فممن هذا اللسان، أوليس من الله؟ أوليس الشكر بجوارح الجسم، وجوانح القلب وقدرات الانسان التي هي كلها مملوكة لله - تبارك وتعالى -، أوليس الشكر بتوفيق منه - عز وجل -؟ اذن فحتى لو حمدنا الله وشكرناه وسبحناه، فان له علينا حجة، وله علينا منه، لأنه وفقنا الى شكره.

### الصلاة على النبي و آله

اما الصلاة التي ندعو بها لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد أمرنا ربنا بها في سورة الاحزاب، وهي السورة التي خصّصت لبيان مكرمات النبي (صلى الله عليه وآله). وفي هذه السورة نجد ايضاً الميزات التي تميّز بها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والاحكام التي اختص بها، ونجد فيها - بالاضافة الى ذلك - قول الباري - سبحانه وتعالى - في أهل بيت رسول الله، واصحابه، وذريته الذين ساروا على دربه: (أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الاحزاب/ ٣٣) وبناء على ذلك فقد خصّصت هذه السورة المباركة لبيان علاقة الامة بالقيادة الرسالية، وخصوصاً بقيادة أهل البيت (عليهم السلام) فهي سورة أئمة الهدى حيث يقول - عز من

قائل :- (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الاحزاب / ٥٦) فما هي هذه الصلاة، وما هو معناها؟ قبل كل شيء لابد من تصحيح مسار الثقافة الانسانية عبر القرون والى الابد، فكلما تورط الانسان فى انحراف اخلاقى جاء القرآن ليصلحه، وليكون شفاءً وعلاجاً ونجاةً له من تلك الضلالة وذلك الانحراف. ومن هنا لابد ان نقول ان هذه المكرمة - مكرمة الصلاة على النبي وآله - هي التي خص بها المسلمون دون غيرهم، لانها وحدها تحمل في طياتها كل معاني العقيدة الايمانية السليمة، ورفض الافكار الباطلة.

## الضلالات الشيطانية للبشر

### اشاره

ومن ابرز الضلالات التي وقع فيها البشر بوحى من الشيطانو تابعيه ضلالتان هما:

### الاعتقاد بالغلو

وبانّ الانسان يمكنه ان يبلغ درجة الألوهية بمجرد انتمائه الى شخص مقرب من الله - جل وعلا - فاليهود انما قالوا: نحن ابناء الله، لانهم زعموا انّ انتمائهم الى موسى بن عمران (عليه السلام) والى بنى اسرائيل، ولكونهم ينتمون الى هذا العنصر فان ذلك يعطيهم الحق بأن يفعلوا ما يشاؤون. وهذا الغلو مرفوض في الاسلام، فنحن عندما نكثّ الحب لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ونكرمه، فانما نفعل ذلك عبر الدعاء الى الله - تعالى - بان يصلى على نبيّه. ومعنى الدعاء الى الله - سبحانه - انك - أيها الانسان المسلم - عندما تريد ان توجد وتكوّن علاقة بينك وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلا بد ان تكون هذه العلاقة في اطار توحيد الخالق؛ أى ان الرسول (صلى الله عليه وآله) لا يمكن ان يكون الا عبداً لله - تعالى - فلا تغلّ في دينك كما غلا قبلك اليهود، والنصارى، ولذلك نجد في هذه السورة (الاحزاب) قوله - سبحانه -: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (الاحزاب / ٤٠) أى لا- تنسبوا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) صفوة الابوة تغلوا في دينكم كما فعلت اليهود، والنصارى من قبل.

### عدم الحاجة الى الوسيلة

وهناك ضلالة اخرى تقول: لماذا نحتاج من اجل الاتصال برّبنا الى باب ووسيلة، وليس الدين علاقة بين القلب والرب؟ فتكفيها - اذن - هذه العلاقة، ولسنا بحاجة الى رسول أو امام وقائد وملهم ديني، بل يكفيها ان نعقد علاقة بيننا وبين ربنا فنركع ونسجد ونتعبد له ثم ينتهى الأمر. وقد جاء القرآن الكريم لينسف هذه الضلالة ايضاً وليقول: كلا؛ اذا أردت التقرب والعروج الى الله، فلا بد من ان تتقرب اليه عبر رسوله، وان تصلّي على محمد (صلى الله عليه وآله) حتى تتقرب إليه. فرسول الله هو وسيلتك الى ربّك، ومعراجك إليه. ولذلك جاء في الأحاديث ان العبد اذا اراد ان تقبل دعوته ويستجاب نداؤه، فلا بد ان يقدم قبل الدعاء الصلاة على محمد (صلى الله عليه وآله) وآله الكرام. ولكن عليك ان لا- تزعم عبر هذه الوسيلة انّ بإمكانك ان تتخطى المراحل، وتتجاوز الوسائل، فالله اولاً، ثم رسوله، ثم أهل بيته، ثم الذين يمثلون خط رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وخط أهل البيت (عليهم السلام)، فهؤلاء هم وسائلك الى الله - عزّ وجل - كما يقول القرآن الكريم: (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) (المائدة / ٣٥)

### الحب دافع الانسان الى الطاعة

وثمة حكمة تتجلى لنا عندما نعرف ان علماء النفس بحثوا كثيراً في طبيعة ظاهرة الطاعة لدى الانسان، والدوافع والنوازع التي تدعوه الى طاعة شخص من الاشخاص، وحينئذ اكتشفوا ان الانسان انما يطيع من يحبّه، ولذلك قالوا انّ الطفل الرضيع انما يتبع امه لحبه لها، وحُبّها له، وليس لجبرها اياه، وخوفه منها، ولذلك ادركوا ان اعظم وسيلة تدفعك الى الطاعة هي الحب، ونحن - بدورنا - لابد ان نطيع رسول الله، ورسالته، وسيرته، وسنته من خلال حُبنا له.

### كيف نتبع رسول الله؟

ترى كيف نتبع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكيف نتبع آل بيته الذين هم ضمير الدين، وقدوات المؤمنين، وأئمة المتقين؟ ان بامكاننا ان نفعل ذلك عبر حُبهم، والحب - كأى شىء آخر - بحاجة إلى تنمية ورعاية. ونحن نستطيع ان ننميّه من خلال الصلاة عليهم؛ فعندما نصلى على النبي وآله، وعندما نكرّر هذه الكلمة في صلواتنا وبعدها وقبلها وفي مختلف الحالات فاننا نزداد حُباً لهم؛ وعندما نزداد حُباً لهم فاننا سنزداد حُباً لبرامجهم، ومناهجهم، وسنتهم، وبالتالي فاننا سنحظى بتوفيق الخالق - جل وعلا -.

### احاديث في فضل الصلاة

وفي نهاية هذا الفصل ارى من الضروري ان انقل جملة احاديث في أهمية وفضل الصلاة من كتاب الكافي: - عن الامام الباقر والصادق (عليهما السلام) قالوا: "ما في الميزان شىء اثقل من الصلاة على محمد وآل محمد، وان الرجل لتوضع اعماله في الميزان فتميل به فيخرج (صلى الله عليه وآله) الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح (به). [" ١٥] - وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: "سمعتة يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ارفعوا اصواتكم بالصلاة على فانها تذهب بالنفاق. [" ١٦] - وفي كتاب الكافي ايضا باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال: "اذا ذكر النبي فاكثروا الصلاة عليه فان من صلى على النبي صلاة واحدة صلى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة، ولم يبق شىء مما خلقه الله الا صلى على العبد لصلاة الله عليه، وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برئ الله منه ورسوله وأهل بيته. [" ١٧] - وروى ابن قدام عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن الرسول (صلى الله عليه وآله): "من صلى على الله عليه وملائكته. [" ١٨] - وعن الحسن ابن فضال عن الرضا (عليه السلام): "من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فانها تهدم الذنوب هدماً." [١٩] - وروى عن مرزم قال: "قال أبو عبد الله (عليه السلام): ان رجلاً أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: يا رسول الله انى جعلت ثلث صلواتى لك. فقال له خيراً. فقال له: يا رسول الله انى جعلت نصف صلواتى لك. فقال له: ذلك أفضل. فقال: انى جعلت كل صلواتى لك. فقال: اذا يكفيك الله عز وجل ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك. فقال له رجل: أصلحك الله كيف يجعل صلاته له؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام): لا يسأل الله عز وجل شيئاً إلا بدأ بالصلاة على محمد وآله. [" ٢٠] - وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "اكثرُوا الصلاة على فان الصلاة على نور في القبر، ونور على الصراط، ونور في الجنة. [" ٢١] - وفي رواية اخرى عنه (صلى الله عليه وآله): "من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى في ذلك الكتاب. [" ٢٢] - وعلمنا ان نحذر من ان نصلى على رسول الله (صلى الله عليه وآله) الصلاة البتراء، فقد نهى (صلى الله عليه وآله) بشدة عن مثل هذه الصلاة، وهى ان نصلى عليه ولا نصلى على أهل بيته، كما وعلمنا ان نحذر ان حبنا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام) هو اعظم زاد لنا في مواجهة مصاعب الحياة، وعقباتها.

### لكي نفتدى برسول الله



بعد اربعة عشر قرناً من هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) لا يزال هذا السؤال حائراً بيننا؛ لماذا لم ننتفع بشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله)، من هذه الرحمة الالهية التي اسبغها الله - تعالى - على البشرية جمعاء، ومن هذه المنّة التي تفضل الله بها على عباده؟ ترى لماذا لم نستفد من حياته الشريفة بالشكل المطلوب بالرغم من ان عواطفنا واحاسيسنا مليئة بالحب تجاهه؟ ولكن اين نحن من سيرته وهديه ومن خلقه العظيم وتوجيهاته والرسالات الالهية التي انزلت عليه؟ ان اماننا طريقاً واحداً يسلك بنا الى الحق، والى رضوان الله فى الآخرة، والخير والرفاه فى الدنيا، هذا الطريق هو ان نعيش فى حياتنا؛ قائدنا واماننا رسول الله (صلى الله عليه وآله).

## حبل بين السماء والأرض

والسؤال المطروح هنا هو: كيف نعيش هذه الشخصية العظيمة فى حياتنا؟ ان النبي (صلى الله عليه وآله) الذى يعتبر الحبل الممتد بين الارض والسماء، انما يعاش اذا اعتصمنا بهذا الحبل الذى يمثله، ووجدنا صفوفنا، واتبعنا من يمثله عبر التاريخ. (فهو صلى الله عليه و اله - اصطفاهم الله - سبحانه وتعالى -، وذلك من خلال اتباعهم، والتمسك بهديهم)، وبذلك نكون قد شكرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) على جهده وسعيه. والخلفاء بدورهم امرونا باتباع قيادته، واتباع هذه القيادة، والاعتصام بحبلها، والالتفاف حولها هو فى الحقيقة احياء لذكرى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و احياء لتهجته، واستمداد من الرحمة الالهية التى انزلت معه.

## هدف البعثة طاعة الرسول

وفى هذا المجال يقول - عز من قائل -: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) (النساء / ٦٤)، فطاعة الرسول (صلى الله عليه وآله) هى الهدف من بعثته، لا- ان نكتفى بالايمان القلبى به من دون طاعة وعمل، فهل يمكن ان يكون هناك ايمان مفرغ من العمل؟ ان طاعة الله - عز وجل - فى طاعة رسوله، وطاعة رسوله هى التى تذهب عنا الرجس، وتطهرنا من الذنوب كما يقول تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (النساء / ٦٤). ان الله - تعالى - انما يتوب علينا، وتعود الينا رحمته، وترجع الينا وحدتنا فى ظل " لا إله إلا الله، " وعزتنا الايمانية، وحضارتنا التى هى حضارة الخير والرفاه للبشرية، انما يعود الينا كل ذلك اذا استغفرنا الله - عز وجل - من خلال العودة الى رسوله.

## الغفران باستكمال التوبة

ان الله يغفر الذنوب، وهو تواب رحيم، ولكن بشرط ان تستكمل التوبة شروطها، وشرط تحقيق اسم (التواب الرحيم) فى واقع الانسان ان يكون طريقنا الى الله - جلت قدرته - سليماً، وصراطاً مستقيماً، وهذا الصراط يتمثل فى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذى ما يزال موجوداً فينا عبر من أمر بطاعته. أولم يقل النبي (صلى الله عليه وآله) فى حديثه المشهور المتفق عليه من قبل جميع المذاهب الاسلامية: "اللهم ارحم خلفائى ثلاثاً، قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال الذين يتبعون حديثى وسنتى ثم يعلمونها أمتى." [٢٣] أفليس العلماء بالله، الامناء على حلاله وحرامه، المتصفون بصفة الربانية، أوليس هؤلاء بين ظهرانينا، أولاً نستطيع ان نجعلهم شفعاءنا عند الله - جل وعلا - من خلال اتباعهم؟ ان استغفار الرسول (صلى الله عليه وآله) للامة هو شرط لعودة الرحمة الالهية اليها، والرسول (صلى الله عليه وآله) لا يستغفر للامة إلا عندما تعود الى سيرته.

## الرسول الحاكم

ثم يؤكد - تعالى - على فكرة مهمة من خلال قوله: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) (النساء / ٦٥)، أى حتى

يجعلوك حاكماً بينهم في اشد القضايا واكثرها خلافاً؛ الا وهى قضايا الخلاف التى يشير اليها - تعالى - ب (الشجار)؛ أى فيما يبرز بيننا من خلافات. فإن كنا نؤمن جميعاً بالله والرسول فلماذا الاختلاف، ولماذا التفرقة، ولماذا التنازع باللقاب، والعنصرية، والطائفية، والحدود، والمسافات الفاصلة، ولماذا لا نوحّد صفوفنا؟ ان قولنا ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو قائدنا لا يكفي، فالقائد يوحد جماعته، فلماذا - اذن - لا نتوحد تحت رايته؟ فبعد اتباع القيادة لابد من الاهتمام بالوحدة على اساس هذه القيادة، وتأكيداً على هذه الفكرة يقول - تعالى - بعد ذلك القسم من الآية: (... ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (النساء / ٦٥). وهكذا فان الرسول (صلى الله عليه وآله) يوحد صفوف المسلمين، وهو القاضى بينهم، والحاكم عليهم دون ان يكون لهم الحق فى الاعتراض على هذا الحكم حتى بهواجس قلوبهم. فالحاكم لا يحكم دائماً فى مصلحتك، فقد تكون مخطئاً فيحكم عليك، وإذا حكم عليك فان هوى نفسك س C??? I??? معارضته علناً، او على الأقل فانك ستضمر المعارضة له فى قلبك، فى حين ان الله - عز وجل - يشير بصريح العبارة الى ان مجرد اضممارك لهذه المعارضة، ووجدانك الحرج فى نفسك مما قضى به رسول الله (صلى الله عليه وآله) سوف يكونان سبباً لاختلال ايمانك وضعفه: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (النساء / ٦٥). والحرج هو الضيق والمخالفة النفسية، والتسليم يعنى الاذعان الكامل لما يأمر به. وكل ذلك لا يمكن ان يحدث إلا من خلال الاستغفار، ومن ثم الخضوع للقيادة، وتوحيد الكلمة، وبذلك تعود الينا عزتنا وحضارتنا.

## مولد النور

### اشاره

كان الظلام سائداً على العالم، وكانت الاصنام تعبد جهراً بفعل الانحرافات الجاهلية، وكانت البشرية غارقة فى الضلالة، وقوى الاستكبار هى سيده الموقوف فى كافه انحاء الارض، والمستضعفون يرزحون تحت نير السلطات الطاغية، و الاقوياء والاغنياء يفرضون منطق القوة، وشريعة الغاب فى كل مكان. الامبراطورية الرومانية كانت تعتنق المسيحية ظاهراً، والطبقية كانت قد بلغت اوجها. اما الامبراطورية الفارسية فقد كانت تعج هى الاخرى بالعنصرية والطبقية، وجماهير الفلاحين والمهنيين ترزح تحت نير الضرائب المتصاعدة. وفى الجزيرة العربية كان شعار الناس الخوف، وذئارهم السيف، وحياتهم مليئة بالتعاسة والمآسى.

### بداية عصر جديد

وازاء هذه الاوضاع أبت رحمة الله - عز وجل - إلا ان تبث للبشرية منقذاً وهادياً، وبشيراً، وسراجاً منيراً، فولد الرسول محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) بعد خمسة وخمسين يوماً من واقعة الفيل الشهيرة حيث كانت هذه الواقعة ارهاصاً وإيداناً بانتهاء عصر، وبداية عصر جديد، فقد بعث الله - سبحانه - طيراً ابابيل على جيش ابرهه فقتلهم ودمرهم واهلكهم عن بكره أبيهم بعد ان تجبروا، وحاولوا الاعتداء على بيت الله الحرام. فهاهو الغيب يدخل طرفاً رئيسياً فى معركة الخير والشر، والحق والباطل، ويدعم الحق بقوته. وهاهو الارهاص بطلوع فجر جديد لان الله - عز وجل - خلق الناس ليرحمهم لا ليعذبهم، وقد أبى ان يستمر المستضعفون والفقراء والبؤساء فى وضع كهذا الوضع، فبعث رسوله خيراً عميماً ورحمة للعالمين. وعند ولادة سيد الخلق (صلى الله عليه وآله) كانت هناك ارهاصات عديدة اخرى فى الأرض؛ فقد غاضت بحيرة ساوة، وفاضت بحيرة السماوة، وزلزل ايوان كسرى وسقطت منه أربعة عشر شرفة، وخمدت نيران المجوس ولم تخمد قبل ذلك الف سنة. وشهد العالم حوادث اخرى غريبة لم يكن يعهدا من قبل ايداناً بأن الله - عز وجل - شاء ان ينقذ البشرية، فوضعت آمنه ذلك الوليد الذى عمت بركته البشرية على امتداد التاريخ.

### دروس الميلاد



وهنا يتبادر الى الاذهان السؤال التالي: اننا اليوم نعيش في ظروف شبيهة في ابعاد مختلفة للجاهلية التي كانت سائدة قبل الاسلام، فنحن نشهد الآن الجاهلية المادية الطاغية وهي تسعى اليوم لتعم بضاللتها وظلامها الارض، فكيف ننتفع ونستلهم العبر والدروس من ذكرى مولد الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله)؟ ان البعض يعتقد - للاسف الشديد - اننا لا نستطيع ان ننتفع بشخصية النبي (صلى الله عليه وآله) مادام غائبا عنا، وهذا التصور يتضمن خطأ فظيحا، فان يكن الرسول غائبا عنا فان الكتاب الذي اوحى الى قلبه الشريف ما يزال باقيا، كما ان سيرته الوضوء ما تزال بين ايدينا، وسنحاول فيما يلي الاجابة على السؤال السابق عبر طرح النقاط والملاحظات التالية:

### استفادة ممكنة

١- ان الاستفادة من شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) ممكنة من خلال دراسة سيرته، فمن المعلوم ان رسالته (صلى الله عليه وآله) كانت اول رساله كتبت، لان الكتابه في عهده كانت منتشرة، وكان (صلى الله عليه وآله) بدوره يؤكد عليها، وهكذا بقيت سيرته العطره ذخرا لنا، فالرسالات السماوية السابقة لم تكتب بتفاصيلها كما كتبت رساله نبينا الاعظم (صلى الله عليه وآله)، وعلى سبيل المثال فقد روى لنا التاريخ تفاصيل وجزئيات كاملة عن حياة النبي (صلى الله عليه وآله)؛ كيف كان ينام، وكيف كان ينهض، وكيف كان يأكل ويشرب ويمشي، واسلوب تعامله مع أهله، واصحابه... كل هذه التفاصيل وغيرها مثبتة في كتب السيرة بوضوح الى درجة ان هذه الكتب ذكرت لطريقة شرب النبي (صلى الله عليه وآله) للماء ثلاثين اربا! ومن جهة أخرى فان القرآن الكريم يقول في هذا المجال: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الاحزاب / ٢١)، والاسوة تعني ان نستلهم الدروس والعبر من سيرته وكأنه (صلى الله عليه وآله) يقودنا بالفعل ويعيش بين ظهرانينا، فعلينا ان نجسده في اذهاننا، ولو اننا استلهمنا من سيرته العطره كل التفاصيل وربطناها ببعضها لجسدنا سيرته، وحينئذ نستطيع ان نتساءل عندما نواجه أى سؤال محير او موقف صعب، كيف كان يتصرف الرسول (صلى الله عليه وآله) في مثل هذه المواقف؟ كيف كان - مثلاً - يقود الحرب (علماً اننا بحاجة الى سيرته في الحرب لاننا في حالة جهاد)؟ وكيف كان (صلى الله عليه وآله) يقود الأمة في حياته، وبأى خلق كان يتفاعل مع المجتمع، وكيف أدار ذلك المجتمع الجاهلي الغارق في الغفلة، والعداوات، والصراع؟ ان على كل فرد منا، وعلى المجتمع كله دراسة سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) بشكل معمق، وحفظ هذه السيرة ومحاولة اتباعه (صلى الله عليه وآله) فيها، وحينئذ ستكون سيرته هذه رحمة لنا كما كان وجوده رحمة لمن كان حوله.

### رمز وحدة الأمة

٢- ان الرسول (صلى الله عليه وآله) يمثل راية واحدة توحيد الامم، فجميع الخطوط تنتهي الى شخصيته (صلى الله عليه وآله)، ونحن لو اتخذنا منه منطلقاً للتوحيد وتركيز الجهود، ولو اتخذنا منه (صلى الله عليه وآله) حبلاً نعتصم به لأصبحنا امة قوية مقتدرة لا يمكن ان تنال منها مؤامرات الاعداء. وعندما يقول الله - سبحانه -: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) (آل عمران / ١٠٣)، فانه يؤكد في آية سابقة على ان حبل الله يتمثل في اثنين؛ الرسول (صلى الله عليه وآله)، والرسالة اي القرآن الكريم، فالاعتصام بحبل الله - عز وجل - يعني توحيد الصفوف تحت راية النبي (صلى الله عليه وآله)، وهذا مطلب يمكن تحقيقه لان الرسول (صلى الله عليه وآله) حاكم فيما بيننا، والاحتكام الى منهجه وتعاليمه يعد من الفرائض التي اشار اليها القرآن الكريم في قوله: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء / ٦٥). فالتسليم لمنهج النبي (صلى الله عليه وآله) من شأنه ان يوحدنا، اما ان يعتقد كل فريق بان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ملكه، وينفى انتماء الآخرين اليه، فهذا ما سيولد الشقاق والخلاف الذي جعل المسلمين اليوم معرضين للغزو العسكري، والاقتصادي، والسياسي، والثقافي...

## القرآن الناطق

٣- لاشك ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) متجسد في القرآن الكريم، فقد كان (صلى الله عليه وآله) خلقه القرآن، كما واثى عليه الخالق - عز وجل - قائلا: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم / ٤). ولا ريب ان كتاب الله موجود بين ايدينا، وعلينا الالتصاق اكثر فأكثر بهذا الكتاب العظيم، والاستفهام من آياته الكريمة، والعمل بتعاليمه المقدسة، احياءاً لسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واستنزاً لرحمته التى شملت العالمين بأجمعهم، فقد جاء اليهم بكتاب هو نور وهدى، وفيه بصائر وذكر، وفيه تفصيل كل شىء. اننا نعيش فى كل عام ذكرى سعيدة هى ذكرى ولادة النبى (صلى الله عليه وآله)، ونحن نهنى انفسنا، والعالم الاسلامى، بل البشرية كلها بهذه الذكرى، ونؤكد ان الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكن رحمة للمسلمين فقط، بل كان رحمة للعالمين. وعلينا ان نسعى ونبذل الجهود من اجل هداية البشرية كلها بسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) الوضاعة. فأين دعوتنا هذه من الناس، ولماذا لانحمل هذا السراج المنير الى جميع ارجاء العالم وخصوصاً تلك المناطق التى تبحث عن النور، والتى عانت ما عانت من الويلات والمآسى بسبب ضلالها، وابتعادها عن الصراط المستقيم الذى رسمه لها الخالق - عز وجل -؟ ان الدعوة الآن الى الرسالة التى سبق وان حملها نبينا الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله)، والعمل المنظم والدؤوب من أجل نشرها، يمثلان واجبا اساسيا نستلهمه من هذه الذكرى، ومن هذا الحدث الحبيب الى قلوبنا. فالبشرية اليوم هى احوج ما تكون الى من يصحح انحرافاتنا، ويهدينا الى سواء السبيل، وينقذنا من اسر المذاهب الوضعية التى لم تجر عليها سوى المزيد من الازمات والمشاكل فى مختلف الأصعدة.

## ميلاد الرحمة

### اشاره

هناك ايام تبقى تتألق فى احشاء التاريخ المظلمة فيما تتلاشى سائر الأيام، فما هو سر تألق تلك الأيام التى هى من أيام الله التى لا يمكن ان ينطفئ توهجها؟ فلقد مضت عشرات القرون وذكرى البعثة النبوية الشريفة لنبى الرحمة، وخاتم الانبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله) ماتزال جديدة طرية تستقطب اهتمام كل مؤمن فى كل مكان، فيما تشهد المعمورة وقوع حوادث شتى سرعان ما تضحل، وتتلاشى من ذاكرة التاريخ، فما سر بقاء هذه الذكرى وغيرها من الذكريات الالهية؟

## سر تجدد الذكرى

ان السر فى تجددها وخلودها وخصوصاً ذكرى البعثة النبوية الشريفة هو ما لهذه الذكريات من علاقة وثيقة، واتصال متين بالسنن الالهية الثابتة، ولكون البشرية بحاجة ماسة الى تجديدها لما لها من دور فى تحقيق الضرورات التى يحياها الانسان المؤمن فى حياته. وهكذا الحال بالنسبة الى كافة الذكريات الاسلامية الاخرى كذكرى عاشوراء التى تتجدد كل عام وكأنها وقعت فى ذلك العام، فهذه الذكريات ومنها ذكرى البعثة النبوية الشريفة انما تتجدد، وتظل خالدة بسبب مالها من علاقة واتصال بحاجات الانسان فى الحياة.

## حاجة متجددة

فالبعثة النبوية لم تكن واقعة تاريخية مرت مرور الكرام فمضت وانتهت، ولم تكن الحاجة البشرية اليها حاجة وقتية انتهت واستغنى عنها، بل هى حاجة متجددة، وحقيقة مستمرة، ولقد ابدت البشرية تجاوبها مع نداءات الوحي التى انطلق صداها الى الدنيا من غار حراء أن: (قُرْأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) (العلق / ١)، وظل هذا الدوى يمزج عباب التاريخ الطويل، وانتشر فى ارجاء الدنيا رغم كل العوارض، والعوائق، والمحاولات القاسية التى ارادت ان تحول دون وصوله إلينا. ومنذ ذلك اليوم المجيد وحاجة الناس الى البعثة النبوية ماتزال

مستمرة، ونحن بالطبع من هؤلاء الناس، فنحن مازلنا بأمس الحاجة الى هذا الانبعاث الالهي الذي من شأنه ان يوقظ هذه البشرية السادرة في غفلتها، والمنطوية على ذاتها المتأطرة في حدودها الضيقة، فنحن نلمس اليوم مدى الحرمان والبؤس الروحي الذي يعم ارجاءها، فلا بد لها في كل آن من بعثة وانبعث.

### رسالة عالمية

ان مهمة النبي (صلى الله عليه وآله) لم تقتصر على اهل مكة والمدينة وحدهما، وهو (صلى الله عليه وآله) لم يكن رسولا - لأهل الجزيرة العربية فحسب، ولا للأمم التي عاصرتة، وعاشته فقط، بل كان رسولا لكل الاجيال والأمم على مدى التاريخ منذ لحظة انبعائه (صلى الله عليه وآله) رسولا ورحمة للعالمين، والبشرية كلما احتاجت الى انبعث روحى فليس امامها إلا العودة الى هدى النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله). ان وجه الدنيا قد تبدل عما كان عليه فى الأمس أبان العصر الأول للرسالة؛ حيث تغيرت ظواهر وحقائق كثيرة، وحدث انقلاب عظيم فى مظاهر الحياة المادية، فأين ركوب الدواب من التحليق بالطائرات، واين الاستنارة بمصابيح الزيت من المصابيح الكهربائية؟ وهكذا الحال بالنسبة الى كافة مظاهر الحياة التي تبدلت وتغيرت شيئا فشيئا حتى غدا هذا العصر عصر العقول الالكترونية.

### الطبيعة البشرية باقية

ولكن الشئ الوحيد الذى لم يطرأ عليه التغير هو الطبيعة البشرية، حيث مازالت البشرية تريد اشباع حاجتها الروحية، وظلت بحاجة الى رحمة الهية مهداة كما قال النبي (صلى الله عليه وآله): "انما انا رحمة مهداة" [٢٤]، وقد أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة قائلا: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الانبياء / ١٠٧). وعندما يتحول التفكير البشرى الى تفكير مادى، فيغوص ابناء البشر فى شهواتهم وملذاتهم، ويجرون وراءها، فتتشب النزاعات والفتن، وتسيل الدماء، وتزهق الارواح، فحينئذ لابد لها من بلسم ينقذها من الهلاك، والدمار، ويداوى جراحها.

### رسالة السماء بلسم البشرية

وهذا البلسم ليس إلا رسالة السماء، وبالتأكيد فان البلسم الشامل والكامل هو ما تجسد فى بعثة نبي الرحمة، وخاتم رسالات السماء محمد (صلى الله عليه وآله) علما ان حال البشرية اليوم ليس بأفضل من حالهم بالأمس وفى عصر ما قبل الرسالة، فقد كان حالهم كما وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله "أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، واعتزام من الفتن، وانتشار من الأمور، وتلظُّ من الحروب... وشعارهم الخوف، ودثارهم السيف" [٢٥]، وهو افضل وصف لحالتهم المترعة المتردة حيث لا أمن إلا - بالسيف والقوة. لقد كان الاقتتال بين القبائل العربية يقع لأتفه الاسباب، وعلى سبيل المثال فان الأوس والخزرج اقتتلا لأكثر من ثلاثمائة سنة من أجل سبب بسيط وتافه إلا وهو قتل بهيمة، وقد كانت القبائل العربية تنقض فى بعض الاحيان - عندما يداهمها الجوع - على آلهتها المصنوعة من التمر لتأكلها، وأما السبل فقد كانت غير آمنة من قطاعها الذين كانوا يسلبون وينهبون ما طاب لهم من اموال القوافل المارة بهم، وعلى هذه الصور وغيرها كان حال الجاهلية الأولى.

### قبائل العصر الحديث

واذا ما تأملنا حال العالم اليوم اكتشفنا انه ليس بأفضل مما كان عليه فى الأمس وإن اختلفت الوسائل والمظاهر، فزعماء البشرية اليوم يصنعون وسائل فنائها وانقراضها بأيديهم حيث الصواريخ المدمرة، والقنابل النووية، والاسلحة الكيماوية، والغواصات المزودة

بالرؤوس النووية التي تجوب اعماق المحيطات طوياً وعرضاً. كما وان البشرية غدت اليوم مهددة بشتى انواع المخاطر الداهمة مثل الجوع والمرض والحرمان والجفاف والقحط المنتشر في ارجاء كثيرة من الأرض. ومع وجود هذه الاوضاع المأساوية، ترى هل غدت البشرية المعذبة غنية عن الرسالة، وانبعاتها الجديد كما يزعم البعض من المنبهرين بوسائل الحضارة المتطورة؟ كلا وألف كلا؛ بل ربما ازدادت الحاجة لهذا الانبعاث اضعافاً مضاعفاً عما كانت عليه بالأمس. فان كان الاقتتال بالامس يعتمد على قوة الفرد، وقدرته على حمل السيف، ومنازلة الخصم به، فانه يختلف اليوم بنسبة واحد الى مليون؛ فبمستطاع شخص او شخصين يجلسان وراء الازرار، وبمجرد ضغطات بسيطة عليها ان يطلقا الصواريخ العابرة للقارات، فينعدم بذلك وجود الملايين من البشر، وتلغى صلاحية الارض للحياة؛ اى ان بإمكان هذين الشخصين ان يحددا ويقررا مصير هذا العالم من موقعهما، في حين ان جيوش الامس كان عليها ان تسير اياماً وليالى، وتقطع الصحارى والقفار والوديان والسهول لكى تبلغ مواقع المواجهة بينها، فإين حروب الامس من حروب اليوم؟!

### انبعاث رحمانى

وبناء على ذلك فنحن بحاجة اليوم الى الانبعاث الرحمانى، وهذا الانبعاث يتجدد مع تجديد الذكرى والاستلها من منها؛ فان كانت البعثة فى الأمس سبب فى اصلاح قبائل متناحرة لا يتجاوز عدد افرادها بضعة آلاف من الناس، فانها اليوم ضرورية لاصلاح امر الملايين من البشرية المعذبة والمضطهدة التى تحتاج الى من يعمل على انقاذها وتحريرها مما تعاني منه الويلات، والفتن، والآثار السلبية للحرمان. وهنا يتبادر الى الاذهان السؤال المهم التالى: هل المهم فى الرسول (صلى الله عليه وآله) شخصه ام نهجه ونبراسه الرسالى اللذان ما يزالان قائمين وسيظلان كذلك حتى قيام الساعة؟ من المعلوم ان غياب شخصه (صلى الله عليه وآله) ليس مهما كاهمية ما جاء به فى رسالته الالهية من تعاليم سامية بدليل قوله - تعالى -: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً) - وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِآذِنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا (الاحزاب / ٤٥-٤٦). فالرسول (صلى الله عليه وآله) سراج لا ينطفئ وإن غاب شخصهنا، وحاشا لنور الرسالة الوهاج ان تحجبه الغيوم الداكنة، فلا يد للزمان تتناول فتال من شعاع الرسول (صلى الله عليه وآله) الساطع الخالد، فهذا النور موجود مادامت كلمة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " تطل على الخافقين، ولذلك فان اهم ما فى ذكرى البعثة النبوية الشريفة ان نجد هذه الذكرى مع الزمان مادامت الحاجة الى الرسالة مطلوبة ومتجددة. وربما يغيب عن البعض، بسبب ما يترك الانبعاث بحضارة الغرب من أثر على النفوس، ان العالم الغربى صار مثله مثل تلك العجوز الشمطاء التى أكل الدهر عليها وشرب فلجأت الى عطار فى محلتها عليها تنجح فى اصلاح نفسها! فالغربيون باتوا اليوم يحاولون تلميع وجوههم، واصلاح ظاهرهم الذى غداً سخيلاً باهتاً، ويكفى فى هذا المجال ان تشهد تقارير مرض الايدز بمدى التفسخ الخلقي الذى يعيشونه، هذا المرض الذى لم ينجحوا لحد الآن فى اكتشاف علاج له. ومن حقنا ان نتساءل هنا: من المسؤول عن هذه الويلات والمآسى التى تمر بها البشرية، أليس هو الفكر الجاهلى المادى المتمثل فى الحضارة الغربية؟ وعندما يكون هذا الفكر هو السبب، أليست البشرية بحاجة الى رحمة الهية تقف فى وجه هذا الاتجاه الجاهلى المعاصر وتقضى عليه؟ الرحمة عند الرسول (ص): ترى اين نجد هذه الرحمة، وما هو مكنها؟ انها عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) متمثلة فى ما جاء به من الرسالة، ونهجها الخالد العظيم، واهدافها السامية النبيلة، فالعمل الجبار والمذهل الذى انجزه النبي (صلى الله عليه وآله) وما يزال ينجزه عبر رسالته ونهجه الخالدين يتمثل فى انه صنع من هذا الانسان الذى كان يتحرك من اجل دنياه، ومن منطلق شهواته ودوافعه الانانية، صنع منه انساناً يكاد يكون انموذجاً فى الاخلاق السامية، فاذا به عطوف رحيم كريم، يحب الآخرين، ويضحى من أجلهم، ويحب امته، ويقدر عقيدته، ومبادئه، ويحمل رسالة فى الحياة. ومن خلال الاثار صارت تلك الجماعة الرسالية الاولى مثلاً يضرب على مر الاجيال، وفى هذا المجال يروى لنا التاريخ انه عندما سقط عدد من اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) فى احدى الحروب جرحى وكان العطش قد اخذ منهم مأخذه، جىء لهم بالماء، وأعطى لأولهم فأبى ان يشرب قبل أخيه الثانى المطروح الى جنبه، وعندما أعطى هذا الماء الى الثانى أبى هو الآخر ان يشرب قبل أخيه الثالث وهكذا حتى جاء دور العاشر فقال: ان

الاول اولى منى واحق بشرب الماء، فلما عادوا الى الأول وجدوه قد فارق الحياة، وهكذا الحال بالنسبة الى الثانى والثالث حتى التحق الجميع بالرفيق الأعلى وهم عطشى لم يذوقوا الماء لانهم آثروا الآخرين على أنفسهم.

### امه متآخيه و موحده

وهكذا فقد صنع الرسول (صلى الله عليه وآله) من تلك الامه المتمزقه المشتته، امه واحده متآخيه تسودها الموده والتضحية والايتار، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتجاهد فى سبيل الله حق جهاده، فلقد تحرروا من أطر انفسهم الضيقه التى كانوا يعيشونها فى الجاهليه، واصبح الواحد منهم يهب مسرعاً يحمل سيفه، وينطلق للجهاد بمجرد ان يطرق سمعه نداء: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ) (النساء / ٧٥). وهكذا تغيرت كل القيم الجاهليه، بل ونسفت من اساسها بفضل ذلك المنهج الرسالى، وصار الجميع جنودا للاصلاح والتغيير، وتحولت تلك الكتل المتنازعه المتناحرة الى كتله واحده متراسه تعبد الله، ولا تشرك به شيئا، وتخوض غمار الجهاد، وتدعو الله - تعالى -، وقد انتشر نور الاسلام بفضل جهاد ابنائه الذين حملوا رايه الجهاد والدعوة الالهيه منطلقين من الجزيره العربيه الى بقاع العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وهذه هى أمه الرساله وامه القرآن التى صنعها النبي (صلى الله عليه وآله).

### مسافات شاسعه

اما نحن فما زالت المسافه شاسعه بيننا، وبين ما يدعو اليه القرآن، فأين نحن من تلك النداءات والوصايا والاوامر القرآنيه؟ أولسنا نحن الذين ينبغي ان نتأسى بالرسول واخلاقه وسيرته فى حياتنا؟ اننا اليوم بأمس الحاجه الى امه منا تقوم باعباء مسؤوليتها التاريخيه، وتحمل رايه النبي (صلى الله عليه وآله) من جديد، وتعمل على ايقاظ القيم الايمانيه فى النفوس، هذه القيم التى تدعو الى القسط، وحب الآخرين، والايتار، والتضحية، بل الى حب الله - عز وجل -، وتغيير ما فى النفوس من عوامل التردى والتخلف، واصلاحها، وبالتالي اصلاح المجتمع الفاسد. ان من اعظم الانتماء هو ان ننتمى الى تلك القيم التى تنادى وتدعو لها الرساله المحمديه، ولنحذر كل الحذر من ان تكون اهداف حركتنا متلوثة بالروح الانانيه النفعيه؛ اى يجب ان لا تكون اهدافنا شخصيه بل لتكن اهدافاً من أجل الله تعالى وفى سبيله، ومن أجل ابناء هذه الأمه المعذبه المضطهده فى كل مكان من بقاع عالمنا الاسلامى.

### لا نجاح للمجتمع الانانى

ولنعلم انه لن تزهو وتورق شجره المجتمع الانانى، بل تزهو وتورق وتثمر شجره ذلك المجتمع الذى تشيع فيه روح الايتار والبذل والتضحية من أجل الآخرين، ويسوده التعاون والتكاتف والمساوعه الى الخيرات، وهذا هو المجتمع الناجح الذى ينشد التقدم والازدهار والذى يمثل اساس الحضاره الانسانيه الحره الكريمه. وهذا المجتمع هو الذى يتحرك نحو الكمال، والاهداف النبيله الساميه لان اليد الالهيه ستكون فى عون، وتسدد افراد، وقد ضمن الله - سبحانه - لعباده النصر والتأييد فيما لو نصر ابناء هذا المجتمع ربهم بتلك الروح الايجابيه الاخلاقيه المتمثله فى تحمل المسؤوليه، والتوكل عليه - تعالى -، وقد اشار القرآن الكريم بصراحه الى هذا المعنى فى قوله: (إِنْ تَنْصِرُوا اللَّهَ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد / ٧). ونصره الله - جل وعلا - تعنى فى جانب منها نصره أوليائه، وكتابه العزيز من خلال العمل بمناهجه وقيمه واوامره ونواهيه وكل شرائعه المقدسه، فلا بد من ان نتآخى بيننا كما يقول - تعالى -: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات / ١٠). ولا بد من التعاضد والتعاون كما أكد على ذلك - عز وجل - قائلا: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (مائدة / ٢).

## كتاب كله هدى

ولا- مناص لنا ايضا من الالتفاف حول كتاب الله، والأخذ بسيرة رسوله واوليائه من الأئمة (عليهم السلام) حيث يقول - تعالى :- (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (آل عمران / ١٠٣). وكتاب الله العزيز كله هدى، وهو السراج الذى ينير لنا طريق الحياة الحرة الكريمة، وهو الذى يأمرنا بالتلاحم، والتعاون فيما بيننا. ولا بد ان نجسد اسلامنا من خلال تلك المعانى والقيم؛ قيم المسؤولية، والاهتمام بمصير الآخرين عبر مساعدتهم، وانقاذهم من المصائب والويلات والكوارث التى تحل بهم كما يصرح بذلك الحديث الشريف "من اصبح لا- يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم". [٢٦]. أما آن الأوان لأن نتحمل مسؤولياتنا التاريخية تجاه اخواننا المضطهدين المقهورين فى بلدان عالمنا الاسلامى الشاسع؟ وللأسف فعندما يكون الحديث حديث المسؤولية والحث عليها، تتدفق سلسلة التبريرات الواهية التى يدحضها القرآن جملة وتفصيلا فى قوله - تعالى :- (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ - وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ) (القيامة / ١٤-١٥). فلنكن فى عون اخواننا اينما كانوا، ولنبحث عن ذوى الحاجة والعوز الذين قد لا تبدو حاجتهم على سيماهم لتعففهم، فعلى ان لا ننتظر لكى يبادرونا بالسؤال لان فى السؤال ذل، والمؤمن ينبغى ان يبقى عزيزاً، صائناً لكرامته. ولنقرأ تاريخ الأئمة (عليهم السلام) وكيف كانوا يصلون الحاجة الى اصحابها بأساليب تحفظ كرامة الانسان المحتاج، فقد كانوا (عليهم السلام) يدورون على بيوت الفقراء والمساكين متكررين لايسألون الناس الحافاً. وإذا كان البعض لايعانى من الحاجة المادية فان حاجته قد تكون معنوية؛ أى قد يكون محتاجاً الى الهداية والرشاد، ومثل هؤلاء ينبغى البحث عنهم وانقاذهم مما هم فيه من جهل وضلال وبعد عن الحقائق، ولنعلم ان الله سبحانه ينزل فيض رحمته على عباده إن هم تراحموا بينهم، ونبينا (صلى الله عليه وآله) هو نبي الرحمة، وتتجلى هذه الرحمة فى تعاليمه، وسيرته وقيمه، وفى كتابه، وما علينا إلا ان نلتف حول الرسول (صلى الله عليه وآله) ورسالته، ونحمل رايته لكى نقرب من هديه، ونبلغ هذا الهدى للعالمين.

## انطلاق العقل والارادة

### اشاره

فى عصر ما قبل البعثة النبوية الشريفة كانت البشرية غائصة فى مستنقع الجهل والضلال، حيث لف العقل البشرى - هذه النعمة الالهية الكبرى - بركام من الخرافات والاساطير، وحجب الغفلة والشهوات، وكذلك الارادة - هذه القوة الالهية التى تميز بها الانسان - كانت قد غلت بالاصر والاغلال، بالاضافة الى القلب الذى هو ينبوع العواطف الخيرة فهو الآخر دس فى ركام من الاخلاق الرذيلة التى حجبت عن تلك العواطف. ومن أجل انقاذ هذا الانسان تدخلت ارادة السماء فولد النور، وانبعث الخير على اعتبار مولد النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، وإثر ذلك تغيرت النواميس واذا بشرفات قصر كسرى بالمدائن تنهاوى، ونيران المجوس فى فارس تخدم، وغيرها من التحولات العظيمة التى جذبت انتباه العالم اليها.

## ارادة السماء تدخل

لقد كانت هذه التحولات الكبيرة اشارة واضحة الى تدخل ارادة السماء فى ساحة الصراع بين الخير والشر، والنور والظلام، والحب والبغضاء، بعد ان لف ظلام الجهل نور الحقيقة، وسيطر الطغاة على مقاليد الارض حتى لم يعد الدعاة الى الله - تعالى - قادرين على الصمود امام هجمات الجاهليين، وحينئذ قررت الارادة الالهية، والمشية العليا ان ينتصر النور على الظلام، والعقل على الجهل، بولادة سيد البشر محمد (صلى الله عليه وآله). وهذه الولادة المباركة كانت بمثابة انطلاق حضارة السماء التى ستعم الارض، وهى آخذة بالتقدم والتكامل حتى يظهر لى الله الأعظم فيملاً الارض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. ونحن إذا قرأنا التاريخ، ودرسنا فصول



الحضارات على وجه الخصوص لرأينا ان الخط البياني لتقدم البشرية قد بدأ لحظة ميلاد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وبعثته، صحيح ان كل رسالات السماء كانت تحمل معها وقود الحضارة لتدفع بالبشرية الى الامام، الا ان رسالة النبي الاعظم محمد (صلى الله عليه وآله) كانت تمثل الدرجة الأخيرة في التحول الكيفي في مسيرة الحضارة البشرية. بين المنهج الاسلامي والمنهج الجاهلي: وهنا بالضبط كانت الانعطافه الكبرى، فبلغت المسيرة رشدًا، وبدأت الحضارة حركتها الحقيقية، وعاد الانسان يعيش انسانيته مقررًا ان الناس سواسية كأسنان المشط، على عكس ما كان يعتقد به الفلاسفة القدماء كأرسطو الذي كان يصرح ان الناس لا يمكن ان يكونوا سواسية، فهم على اقسام؛ فمنهم من ليس يبشر وانما خلقهم الله بالصورة الآدمية لكي يخدموا الآخرين من الطبقات العليا. والى اليوم نلاحظ ان هذا التقسيم غير الطبيعي ما يزال سائدًا في بعض البلدان؛ ففي الهند - مثلاً - نجد شريحة كبيرة من الناس يطلق عليها اسم (المنبوذون) تعيش في حالة يرثى لها من الجهل، والتخلف، والفقر، والحرمان، والأسوأ من ذلك ان احداً منهم لا يجروا على انقاذ نفسه من هذا الواقع المزرى لاعتقاده بانه منبوذ حقاً! وراح البعض يميز بين جنس الرجل، وجنس المرأة؛ اذ كان اغلب الفلاسفة يعتقدون ان المرأة ليست من جنس الرجل، وانها من جنس ادنى منه، وان الله - تعالى - قد خلقها لتخدمه، وهذه المعتقدات وما شاكلها تسربت الى بعض الديانات مما سبب انحرافها - كالديانة اليهودية مثلاً - حتى صار اصحابها يعتقدون فكرة العنصرية لجعلوها شعاراً لمحاربة الشعوب.

### خلفية جاهلية

وحتى أولئك الذين يدعون التقدم والحضارة في عالمنا المعاصر لا يعترفون هم ايضاً بالآخرين، لان خلفيتهم الفكرية خلفية جاهلية، ولانهم لم يتبعوا القيم الالهية، ومن هنا ندرك حقيقة ان الحضارة الحقيقية لا يمكن ان تكتمل الا في ظل رسالات السماء التي تؤدي الدور الفاعل في استثارة دفائن العقول، واستخراج خزائنها، واذا بهذه العقول المدسوسة في تراب الخرافات والاساطير تنشط، وتأخذ بالاشعاع في الآفاق الواسعة. وكلما تحرر العقل شحذت العزيمة، وتوفرت النية الخالصة حتى يصبح الانسان قادراً على اتخاذ قراره بنفسه، ذلك ان قيمة الانسان بقراره، فالانسان الذي يخضع لكل من هب ودب سرعان ما ينهار امام أى تحد قد يواجهه في حياته. ان الانسان الحر يمكنه ان يتحدى كل الحتميات الاجتماعية والجنسية بل وحتى الحتميات التاريخية، صحيح ان هناك عوامل تاريخية قد يكون بعضها ثابتاً، إلا ان الانسان مع ذلك يكون فوق التاريخ بارادته، فبإمكانه ان يوقفه ليصنعه من جديد، وهذه هي الفكرة الثورية التي تستطيع ان تجعل الانسان يقفز قفزات واسعة لتحقيق تطلعاته الكبيرة. ومن خلال تحقيق هذه الفكرة تمكن الاسلام من مد نفوذه على اكبر مساحة من الارض، وفي اسرع وقت، ونحن نلمس ذلك في شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي تحدى كل الحتميات الجاهلية التي كانت سائدة آنذاك، فأثار العقول بعد ان كانت خامدة، واعاد للنفس حيويتها بعد ان كانت ميتة، والغى العصبية، والاعتداءات، والاحقاد، والبغضاء بعد ان كانت متأججة، وأرسى في صفوف الأمة المحبة، والوئام، والالفة والانسجام، وكان ذلك ديدنه حتى آخر لحظة من حياته الشريفة، إذ كان (صلى الله عليه وآله) ينادى ملك الموت قائلاً: "شدد عليّ وخفف على أمتي" رحمه بها، ومحبة لها. وهذه هي بعض تجليات رسالة النبي (صلى الله عليه وآله).

### منهاج النبي علاج مشاكلنا

ولو نشأت الأمة حقاً على منهاج الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله)، وعاشت سيرته المباركة لما كانت اليوم تعاني من أية مشاكل تذكر، إلا- انها لما صارت تعيش الغربة عن واقع رسالتها، ولم تكرر قيمها الاسلامية في واقعها، فمن الطبيعي ان يأتي الاحكام الطغاة ليتسلطوا عليها، وينفذوا الادوار الاجرامية ضدها، فلو كان مجتمعنا محمدياً قرآنياً لما فسخ المجال لاي طاغية ليعيث بمقدراته، ويتسلم مقاليد اموره رغماً عن ارادته، فالمجتمع المحمدي هو مجتمع المسؤولية، والوحدة، والحب والتعاون والتكافل، ومجتمع التحدي

والشهادة. ولذلك ينبغي علينا ان نبني مجتمعاً صلباً ايمانياً صادقاً يتحدى كل من تسول له نفسه ان يصنع من نفسه دكتاتوراً يتسلط على رقاب الشعوب المسلمة.

### المسلمون و خطر الابداء

ان المسلمين يواجهون اليوم خطر الابداء فلا مجال للجدل في بعض القضايا الهامشية، كما انه لا مجال للعمل البطيء المتعثر في هذه الفترة، فهذا الظرف يتطلب عملاً جاداً ودؤوباً، ومن اجل ان نرتفع بالساحة الاسلامية الى مستوى التحدى والتحدى؛ ارى ضرورة العمل بالارشادات والوصايا التالية: ١- لنسعى من اجل صنع دوائر ايجابية يتداخل بعضها مع بعض كالموجة التي تنطلق من وسط دائرة ليتسع مداها الى الدوائر الاوسع، فلا يجوز لنا اليوم نحن ابناء الحركة الاسلامية ان ننزل وننكمش على بعضنا، وليرحب كل واحد منا بأى انسان يمد له يد العون لانقاذ بلاده وشعبه، ولنبدأ جميعاً بفكرة جديدة وانطلاقة جديدة، صحيح ان هناك نقاط اختلاف ولكننا عندما نجد نقاط الوفاق، وعندما نستطيع ان نتمحور حولها، ونعتمد عليها، فان هذا يعنى ان نقاط الخلاف ستفنعنا في مجالات كثيرة، خصوصاً إذا عرفنا ان من طبيعة المجتمع انه يعيش ادواراً مختلفة من حيث الطبقات، والجنسيات، والتوجهات... ٢- كل عمل يسهم في إضعاف انظمة البغى والجور، ويساعد على تنمية قوى المعارضة هو عمل مقبول علينا ان نشجعه. ٣- ضرورة العمل في الساحة الجماهيرية دون التوقع في الدوائر المنفصلة عنها، فلا يخفى ان قيمة الحركات الاسلامية تتجلى في التواصل مع الجماهير، وابداء الخدمات لهم، فلا بد من ان ندخل اوساطهم من خلال استشارتهم، والاستماع الى افكارهم، وان نطرح عليهم في نفس الوقت نظرياتنا وافكارنا ومن الممكن ان يتحقق ذلك بواسطة عقد الندوات والمؤتمرات وغيرها مما تسمح به ظروف كل حركة اسلامية. ان على المتصددين للقضايا الاسلامية ان يفسحوا المجال للجماهير لبدء آرائها، وما يختلج في صدورهم، فان الآثار الايجابية لذلك ستعكس على ساحة العمل بصورة واضحة، ومن هذا المنطلق يجب ان نعطي الجماهير دورها الطبيعي في الحياة ليتعلموا كيف يبادرون الى استعادة حقوقهم المسلوبة، والدفاع عنها..

### الحوزات العلمية و ضرورة التطوير

وفي هذا الاطار اوجه حديثي الى الحوزات العلمية بالقول ان التقدم التقني، وتنامي التحديات الفكرية يستدعيان من العلماء ان يلاحظوها بافكارهم ونظرياتهم، ومثل هذا الأمر لا يمكن ان يتحقق إلا اذا برمجنا مناهج الحوزات العلمية برمجة حديثة وفق تطورات العصر إذ ليس من المعقول ان نبقي جامدين على البرامج السابقة. ان الحوزات العلمية بحاجة الآن الى دم جديد، وانبعاث جديدة، فالحوزة التي لا يدرس فيها الطالب الاقتصاد، والسياسة، وسبل مقاومة الطغاة والمستكبرين، لا يمكن ان تسمو في سماء التكامل. وفي هذا المجال كتب أحد الفلاسفة الغربيين في كتابه (الامام الصادق عقل الفكر الشيعي) يقول: ان الامام الصادق (عليه السلام) لم يورث الشيعة مالا، ولا سلطة، وانما اورثهم منهجية سليمة لتعلم العلم، فالامام الصادق بقى وبقي من ورائه التشيع مستمرا في تحدى المتغيرات، وتتجلى هذه الحقيقة اكثر عندما نجد علماء الاسلام تلهج السنتهم على مر التاريخ بذكر الامام الصادق (عليه السلام) عندما يتباحثون في مختلف ابواب العلم.

### دعوة للتجديد

انها دعوة مفتوحة لكل العلماء والفقهاء والمفكرين للعمل على تطوير برامج الحوزات العلمية لكي تكون حقاً جهاز دعوة وتبليغ في سبيل الله - عز وجل -، وقد يقول البعض انه قد تم بعض التغيير في المناهج الحوزوية قبل عشر سنوات، وانا أؤيد ذلك ولكن لابد من احداث تجديد كل عقد من الزمان مع المحافظة - طبعاً - على الموضوعات الاساسية، اما المتغيرات فلا بد من ان تتخذ طريقها الى



عقول الموجهين، ثم منهم الى الجماهير، كمال قال - تعالى - فى سورة الاحزاب وهو يصف الرسول ومناهجه، ودوره فى توجيه الناس: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا - وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) (الاحزاب / ٤٥ - ٤٦).

## مبدا الظلمات و محطم الحواجز

### اشاره

ماهى الظلمات التى بددها فجر الرسالة الاسلاميه، وماهى الصراعات التى اطفأت نارها بعثه النبي (صلى الله عليه وآله) فى غار حراء، ولماذا كان الرسول سراجاً منيراً، وبماذا بشر الله - عز وجل - المؤمنين الذين يتبعون هذه الرسالة؟؟ هذه تساؤلات لابد ان نتدبر فيها، ونعمل الفكر من أجل الاجابة عليها، ولا- يكفى فى هذا المجال ان نقرأ القرآن قراءة عابرة، ونسلم تسليماً قلبياً بما جاء به دون ان نعرف ابعاده وآفاقه، ودون ان نستوحى منه افكاراً نتبصر فيها لعلها تكون لنا معراجاً ووسيلة الى الله - سبحانه -.

### المعرفة شرط اول

هناك مسافات شاسعة وواسعة تفصلنا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته (عليهم السلام)، فنحن ما نزال نجعل مقامهم، وواجبنا اتجاههم، وبالتالي فاننا إذا بقينا على هذه الحالة، وارتحلنا عن الدنيا ونحن نجعل اهمية قادتنا، فعلينا ان لا نأمل ان نكون فى يوم القيامة ممن تنالنا شفاعتهم، وممن يجالسهم ويحاورهم فى الجنة، ذلك لان المعرفة هى الشرط الأول، فعندما لا تعرف شخصاً ما فكيف تحترمه وتحميه وتتبعه، وكيف ترجو ان يكون لك شافعاً وصاحباً؟! ان تلك الظلمات التى كانت سائدة على البشرية لم تكن ظلمات الفقر والمرض والتخلف والجهل، بل كانت ظلمات اعمق من ذلك، هى الجذور الاساسية لمثل هذه الظلمات. انها ظلمات العلاقات بين الناس، فهذه العلاقات لم تكن قائمة على اساس فطرى سليم، بل كانت علاقات قائمة على الظلم والاستكبار والاستعباد والتفرقة العنصرية. ان هذه العلاقات هى الأهم فى حياة الانسان، فهو عندما ينظر الى الآخرين نظرة سليمة، ويؤمن انهم اخوان له فى الدين، او نظراء له فى الخلق، فحينئذ سوف تصلح وتستقيم سائر مواقفه منهم. اما إذا فسدت هذه العلاقة، وهذه الفطرة فان المواقف الأخرى سوف تفسد بدورها، وهذه هى الظلمات الحقيقية التى يشير اليها القرآن الكريم. ان الفلسفات البشرية القديمة والحديثة لا يمكن ان تكون قائمة إلا على هذه العلاقة الشاذة؛ أى علاقة العبودية والاستعباد. فنحن لو القينا نظرة فاحصة على هذا العالم فى عصوره القديمة والحديثة لرأينا ان علاقة الناس بعضهم ببعض انما هى علاقة الذئب بالشاة، فالجزيرة العربية كانت قائمة على اساس الفروق القبلية والعنصرية، وكانت هذه الفروق تثير الحروب والصراعات المستمرة الطاحنة، وقد كانت هذه الحروب والصراعات انعكاساً للثقافة الجاهلية المسيطرة على النفوس والاذهان آنذاك، وهذه هى الظلمات التى جاء الاسلام لازالتها.

### عادت الظلمات من جديد

وقد سيطرت هذه الظلمات مرة اخرى على البشرية خلال القرن الخامس عشر وحتى السابع عشر، فقد كانت هذه القرون قروناً مأساوية فى حياة الانسانية، فأصبح تاريخ الانسان مجرد حالة من التناحر الذى يعرف اليوم بالحرب الخفية بين الشمال والجنوب، وقد قسمت هذه الحروب البشرية الى قسمين؛ قسم يسمى ب (الدول المتقدمة) وآخر ب (الدول النامية او المتخلفة). ترى لماذا لم تستطع البشرية رغم مرور قرون طويلة، ورغم الجهود التى بذلتها وثوراتها وانتفاضاتها ان تبلغ التقدم، فبقيت تلك البلدان متخلفة بل وازداد تخلفها هذا، فى حين ان الدول المتقدمة ازدادت تقدماً وقوة؟ السبب فى ذلك يكمن فى ان الغرب يؤمن بفلسفة مزيج من الفلسفة الدينية المستوحاة من التوراة والانجيل، والفلسفة اليونانية والرومانية المستوحاة من التصورات البشرية.

## من مظاهر الظلمات المعاصرة

ان الغرب بدأ يفكر بشكل آحادى اعتبارا من تلك القرون، فأخذ يتجه نحو الفلسفة المادية البعيدة عن المسحة الروحية، والقيم الايمانية، وعندما ترسخت هذه الفلسفة فيه بدأ باستعمار الشعوب ونهبها بشكل منظم؛ ففي خلال قرنين من الزمان استطاعت البلدان الغربية ان تسرق من اميركا اللاتينية ومن بعض الدول فى آسيا الكثير من ثرواتها، وهكذا استطاعت تلك البلدان المستعمرة ان تنهب كل ما فى البلدان الفقيرة من ثروات. وعلى سبيل المثال فقد اختطفت البلدان الغربية من افريقيا ما يقرب من مائة مليون انسان، وهنا يحق لنا ان نطرح هذا السؤال: ما هى الاسباب التى دفعت البلدان الغربية الى تلك الممارسات اللاانسانية؟ انها بالتأكيد الافكار الظلمانية والجاهلية التى جاء نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) للقضاء عليها، واقتصاص جذورها. انها الافكار المادية التى انتزعت منها القيم الانسانية، والسموية، والمصائب والمآسى والويلات التى نجدها اليوم فى البلدان الاسلامية هى من افرازات تلك الافكار الجاهلية التى صدرها الغرب إلينا. ان هذا التخلف هو نتيجة ذلك الانعطاف الخطير فى تاريخ البشرية؛ والمتمثل فى تقسيم العالم الى بلدان متقدمة، وبلدان متخلفة، وقد بعث النبي (صلى الله عليه وآله) لمحاربة هذه الظاهرة الطبقيّة كما تشير الى ذلك بوضوح الآيات التالية من سورة الأحزاب: (الَّذِينَ يُلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا - مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا - وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا - هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا - تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا - وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا - وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا نَ لَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) (الأحزاب / ٣٩ - ٤٧).

## سبيل الخروج من الظلمات

والآيات الكريمة السابقة جاءت لتؤكد على أن الظلمات التي عاشتها البشرية ما هي إلا ظلمات التمييز العنصرى، والفروقات الطبقيّة فنحن لا نستطيع ان نغير التاريخ، ونبدأ انعطافا جديداً إلا من خلال مقاومة هذا الفيروس الخطير؛ فيروس الرؤية الطبقيّة والعنصرية الى الناس، وإذا ما تمكنا من ان نقضى على هذه الجرثومة قضاءً مبرماً فان هذا يعنى اننا سنستطيع بحول الله - تعالى - ان نبدأ المسيرة المباركة، ونسير فى الاتجاه المعاكس للتيار المنحرف الذى يجرف البشرية الآن. ونحن إذا ما رأينا ان البلدان المتخلفة لم تستطع خلال قرون طويلة من الثورات والمحاولات ان تغير المعادلة السائدة فى العالم، فالسبب يكمن فى ان شعوبها لم تحاول ان تغير ما فى نفسها، ولان العلاقة بين ابناء شعوب هذه البلدان كانت ذات العلاقة بين الدول الغنية والفقيرة. ونحن كتجمع ايمانى فان مراكزنا العلمية، ومعاهدنا الدينية يجب ان تكون هى المنطلق. فهى محافل القرآن، والامكنة التى تسودها الاجواء الايمانية، وبعبارة اخرى فان غار حراء الذى انطلقت منه الرسالة الاسلامية السمحاء يتجسد اليوم فى هذه المراكز والمعاهد شريطة ان تستقبل نور الوحي، وتتجاوز الذاتيات والانانيات والتميزات، وفى هذه الحالة فاننا سنستطيع ان ننشر نور الاسلام فى جميع ارجاء العالم، وإلا فان مآسينا ومصائبنا ستبقى كما هى ان لم نقل انها ستزداد سوءاً ووخامة.

## الرؤية العنصرية كفر

ان مجرد الاعتراف بالفروق والعنصريات هو كفر بما جاء به نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، وانا اذكر فى هذا المجال انه عندما بدأت الجوازات والجنسيات بالصدور فى البلدان الاسلامية فان فقهاؤنا (رحمهم الله) بادروا الى الافشاء بحرمة اقتناء المسلمين لهذه الوثائق التى تكرس الاختلافات والتشتت فى جسد الأمة الاسلامية الواحدة، حتى انهم افتوا بحرمة الحج إذا كان يقوم على الجواز

والبطاقة الشخصية. ان الاسلام استطاع في العصور الماضية ان يخلق ارضا اسلامية واحدة تضم الفلبين والنيجر، ويوغوسلافيا والنمسا، والجزائر والمغرب، وبلاد الهند والسند، ولكن اين هذا الاسلام اليوم؟ ان العالم الاسلامي مجزأ الى أكثر من ثلاثين بلدا، وفي كل بلد عدة اقاليم، وفي كل اقليم الكثير من النعرات الطائفية والعنصرية... إذا لم تستطع القيادة النبوية ان توحدنا، ولم يكن بمقدور هذه الرؤية المباركة ان تصهرنا في بوتقة واحدة فماذا يعنى انتمائنا اليها، وادعائنا الانضواء تحتها؟ انه خداع ذاتي ان تحضر - مثلا - محفلا يذكر فيه اسم الرسول (صلى الله عليه وآله)، وتصلي فيه عليه، ولكن يوجد بينك وبين اخيك حاجز من الحواجز الطائفية أو العنصرية وما الى ذلك من الاعتبارات المادية الضيقة!

### مقياس الإيمان الحقيقي

علينا اليوم ان نبدأ بتحطيم هذه الحواجز تماما كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله)؛ فالمجتمع المدني الذي اسسه (صلى الله عليه وآله) كان مجتمعا صغيرا ربما لم يكن عدد افراده يتجاوز عشرة آلاف انسان، ولكنه انموذجا للمجتمع الاسلامي الكبير الذي بشر به النبي (صلى الله عليه وآله)، والذي استوعب بالفعل الشرق والغرب، والشمال والجنوب. ونحن ايضا يجب ان نجعل من تجمعاتنا الصغيرة مثالا لتلك التجمعات التي نبشر بها، ونأمل ان تتشكل في المستقبل القريب. وهذا هو المقياس الحقيقي لمدى ايماننا بقيادتنا النبوية، وإلا فمن يصدق الادعاءات التي نطلقها في هذا المجال؟ فنحن ندعى ان اميركا و البلدان الغربية تستضعفنا، ولكننا في الحقيقة نعتبر (اميركا) بالنسبة الى من هم دوننا، فنحن بدورنا نعتبر مستكبرين بالنسبة الى الجماعات الاخرى التي هي دوننا في القوة والقدرة والنفوذ. ان الله - عز وجل - يقول في محكم كتابه الكريم: (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا) (الانعام / ١٢٩). ترى لماذا يولى الله - سبحانه - الظالمين على بعضهم البعض؟ السبب في ذلك ان الظالم يظلم من دونه، فمن الطبيعي ان يسلط عليه من هو اقوى منه.

### الانتماء المزدوج سبب المشاكل

ولذلك نجد ان الخالق - جلت قدرته - يؤكد في بداية سورة الاحزاب على هذه الفكرة التي تتضمنها الآية الكريمة التالية: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجَالٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) (الاحزاب / ٤). وبعبارة أخرى فان الانتماء المزدوج هو الذي يسبب هذه المشاكل، فيجب - اذن - ان تكون هناك رؤية واحدة، وانتماء واحد، وحركة واحدة في التاريخ، ولذلك يقول - تعالى -: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) (الاحزاب / ٣٩). ان هذه الخشية التي تتركز في اتجاه واحد، انما تنصب وتمثل في خشية الله - سبحانه وتعالى - وحده.

### وحدة القيادة الالهية

ثم يضيف السياق القرآني الكريم قائلا: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ)؛ اي ان صلتكم بالنبي (صلى الله عليه وآله) ينبغي ان تكون صلة واحدة، ثم يبين - تعالى - حقيقة وحدة القيادة الالهية في قوله: (وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا - وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا). وإذا وصلنا الى هذا المستوى؛ مستوى التوحد والذوبان في بوتقة الايمان، فهناك تنزل علينا الصلوات من ربنا: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا). وعندما يخرجنا الخالق - تعالى - من الظلمات الى النور، ومن اجواء الثقافة الجاهلية، الى احضان الثقافة الایمانية النورانية، فحينئذ سنعيش في الآخرة في دار الأمن والسلام كما وعدنا الله - جل وعلا - بذلك في قوله: (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا).

## منطلق الوحدة

### اشاره

ان الوحدة الاسلاميه التي تستند الى كتاب الله - تعالى - وقيادة رسوله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) الذين هم الامتداد الطبيعي له، هي الوحدة المتمسكة بحبل الله والمعتصمة بعروته الوثقى؛ فهذا الحبل هو الذي يشد الطاقات الاسلاميه ويجعل منها كتلة متراسه وبناءاً متماسكاً. وهذا الحبل المتين يتمثل - كما قلنا - بكتاب الله وشريعته المقدسه، والنبي (صلى الله عليه وآله)، ثم الأئمة (عليهم السلام) هم الذين يعملون على تطبيق احكام وتعاليم الكتاب والشريعه.

### مولد الرسول مناسبة للوحدة

ومن وحى هذه الفكرة فاننا نتخذ من ذكرى ولادة رسولنا الاعظم محمد (صلى الله عليه وآله) مناسبة للوحدة، فنحتفي فيها بتلك الاصول الواحدة الثابتة التي تجمع طوائف المسلمين، وتجعلهم يداً واحدة ضد اعدائهم، وتجعل ذمتهم ذمة واحدة يسعى لها ادناهم، وتحيل اهدافهم الى اهداف مشتركة او بالاحرى اهداف واحدة. ان الله - سبحانه وتعالى - شاء ان ينصر المؤمنين، وينصر كتابه المقدس بهم جاعلاً النصر الثاني شرطاً للنصر الاول فقال في محكم كتابه الكريم: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد / ٧)، وهاهي ذى جماهيرنا المسلمة تهب في كل الآفاق لنصرة كتاب الله مضحية بكل غال ونفيس من اجل تحقيق هذا الهدف السامي. فهاهو ذا نصر الله آت، وكل آت قريب.

### الوحدة ليست شعاراً يردد

ان علينا اليوم ان لا نكتفى بترديد شعار الوحدة، بل علينا ان نعمقها في كل بعد من ابعاد حياتنا، فهي تعنى اولاً وقبل كل شيء نبذ كل اسباب الخلاف، والاعراض عن الاهداف الضيقة المحدودة التي تعرض وحدتنا للخطر، ونبذ المصالح والانانيات التي هي بمثابة السكين التي تطعن المسلمين في خاصرهم، وتحولهم الى فرق شتى. ثم علينا بالاضافة الى ذلك ان نركز اهتمامنا على ذلك الهدف الواحد وهو اقامة حكم الله في الارض معتصمين بحبل الله المتجلى في القرآن والرسول (صلى الله عليه وآله)، وبعد ذلك يتعين علينا ان نتجه الى انفسنا والى فئاتنا المختلفة لنربط بعضها ببعض في وحدات صغيرة تكبر شيئاً فشيئاً حتى تصبح الامة جسداً واحداً من ادناها الى اقصاها.

### بالحق يعرف الرجال

ان علينا ان نعرف الحق، ثم نقيم الرجال به بعد ذلك، فالحق الذي يعرف به الرجال تعرف به ايضا الانظمة والاقوال والادعاءات، وهو الذي تهدينا اليه فطرتنا وعقولنا وهدى كتابنا وسنة رسولنا (صلى الله عليه وآله)، وهذا الحق هو نداء الوحدة. اما ما يطلقه هذا وذاك من اقوال تفرق المسلمين، وتعمل من اجل تقسيمهم الى فئات واحزاب متناحرة سواء باسم الطائفيه ام العنصريه ام القومييه... او باسماء اخرى ما انزل الله بها من سلطان، فانها ليست إلا اصناماً تعبد من دون الله.

### اسباب الوحدة قائمة

وعلىنا في هذا المجال ان نتذكر دوماً ان المسلمين كانوا وما يزالون تشدهم الى بعضهم اسباب الوحدة، وعوامل الاتحاد اكثر مما

تفرقهم عوامل الشقاق والنفاق والاختلاف. و على الرغم من ان الاختلاف طبيعى بين البشر، وان الله - تبارك وتعالى - قد خلق بنى آدم مختلفين عن بعضهم، وجعل لكل انسان موقعا خاصا ينطلق منه، وجعل له اسلوبا ومنهجيا يتمسك بهما، إلا أن اسباب الوحدة ما تزال كثيفة ومركزة فى اوساط الامة بحيث لا تدع لأبواق الضلالة وعوامل النفاق سبيلاً تنفذ من خلاله فى ضمير الامة. وعلى سبيل المثال فاننا عندما نتأمل مهرجان الحج، والامواج البشرية المتفاعلة فيه قادمة من كل فج عميق، فاننا سنشاهد بوضوح تلك الوحدة الحقيقية العميقة الجذور التى لا تستطيع عوامل التفرق ان تنال منها، او تحدث فيها اى خلل؛ فالطواف حول الكعبة هو رمز التمحوّر حول الحق، والابتعاد عن المحوريات الباطلة، كما ان الإصحار بعرفات فى ثوب واحد مشترك، ولقائه مشاعر مشتركة واحدة هو رمز لتلك النفوس التى تصارح بعضها بعضا، كما ان الصلاة باتجاه القبلة، واداء الزكاة والصيام، والتمسك بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل ذلك يمثل عوامل للوحدة لا اسبابا للنفاق والشقاق..

### مشيرو الاختلافات عاجزون

واما الذين يريدون ان يسلطوا الاضواء على بعض الخلافات التاريخية، او الخلافات الطبيعية بين البشر، واولئك الذين يريدون ان يضخموا الاختلافات فى اللون او الشكل او اللغة او الاقليم فان هم الا فى ضلال مبين، ومحاولاتهم هذه تشبه الى حد كبير ذلك الذى ينفخ فى الشبك، او يرسم على الماء، فماذا عساهم يفعلوا ضد هذا الدين المقدس الذى قاوم كل تحديات الفرقة عبر اربعة عشر قرنا رغم الشهوات والاهواء والمصالح، ورغم الضغوط الحضارية؟ وماذا عساهم ان يصنعوا بهذه الامة الواحدة التى امتزجت دماؤها بهدى السماء ونور القرآن الكريم؟ وهل ستنجح محاولاتهم من أجل تحريف مفاهيم القرآن هذا الكتاب الذى ترسخت آياته فى قلوب مئات الملايين من المسلمين فى انحاء الارض؟!

### الزبد يذهب جفاءً

ان القرآن الكريم يوجه الفكر والعقل، ويرمج الحياة برمجة واحدة بالنسبة الى الجميع، اما القشريون الذين لا يرون إلا زبد الحياة، والغناء العائم فوق سيلها المندفع، والذين يريدون ان يضخموا بعض الخلافات، فانهم لا يأخذون بنظر اعتبارهم قول الله - جلّت اسماءه -: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) (الرعد / ١٧). فلنكن على ثقة بان هذا الزبد سيذهب ويزول كما زالت امثاله فى تاريخنا المديد، وكما انمحت كل عوامل التفرقة. ولنتخذ من حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) هدى، ومن كتاب الله حبلًا- نعصم به، ونتمسك ببرامجه ومناهجه، ولنبدأ بتزكية انفسنا، وتربيتها على اساس حب المسلمين جميعا لكى نكون اذلة على المؤمنين، اعزة على الكافرين، ولنعيش فى اجواء الحق متمحورين حول القيم المقدسة، ولنعمل على تكوين الخلايا الموحدة حتى تصبح الامة الاسلامية امة واحدة، ويتحقق قول - عز من قائل -: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء / ٩٢).

### النعمة الكبرى والمنة السابعة

#### اشاره

عندما خلق الله - سبحانه وتعالى - البشر، اراد ان يجعل لهم نعمة سابعة تتمثل فى هداية الانسان الى ارفع مستوى، ولقد شاء - عز وجل - ان يختار من بين ابنا آدم (عليهم السلام) نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، ومن اجل هذا النبى العظيم، ومقامه الرفيع أسجد الخالق - عز وجل - جميع ملائكته لآدم (عليه السلام).

### الامة المختارة

وبفضل هذا النبي اراد - تعالى - ان يجعل المسلمين الامة المصطفاه والمختاره من بين الأمم من خلال توفيقهم الى ان يمدوا سلطه الاسلام على الكرة الارضية، وسوف يظهر - تعالى - دينه على ايديهم، فلقد شاءت قدرته ان يجعل هذه الامة الشاهده والشهيدة على أهل الأرض جميعاً. لقد احب الله - جلت قدرته - ان يتجلى لخلقه بعد ان كان كنزا مخفيا، فخلق نور محمد (صلى الله عليه وآله) هذا النور الذي اشرفت به السماوات والأرض، والذي كان سبب وفلسفه وحكمه الوجود، فلولا (صلى الله عليه وآله) لما خلق الله - تعالى - الافلاك. وعندما كان النبي (صلى الله عليه وآله) اقرب شيء الى مقام ربه عندما كان قاب قوسين او أدنى، قال له جبرائيل (عليه السلام): والله لئن تقدمت قيد انملة لاحتقرت. في حين ان نبينا (صلى الله عليه وآله) تقدم الى مقام ربه مسافات لا يستطيع ان يتصورها الوهم والخيال.

### منه الله على البشرية

لقد شاء - تعالى - ان يمن على البشرية فبعث منها رسولا ليضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم كما تصرح بذلك الآيات التالية: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ - قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَمَا مَنِ الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). (الاعراف / ١٥٧ - ١٥٨). وهكذا بعث النبي (صلى الله عليه وآله) ليرفع هذه الاغلال، ويحرر البشرية من حب المادة، ومن جاذبية الأرض، ولينطلق في آفاق التقدم، وإذا لم يكن بمقدور الانسان ان يكون مثل النبي في الرقى الاخلاقي والروحي، فليكن مثل سلمان الذي قال النبي (صلى الله عليه وآله) في حقه عندما اختلف المسلمون بشأنه: "سلمان منا أهل البيت" [٢٧].

### قيود الأنظمة

ان هذا التقدم كان نتيجة التخلص من الاصر والاغلال، وهذه القيود والاغلال تتجسد في قوانين وانظمة هدفها تقييد الانسان، فهناك الكثير من المحدوديات والاغلال المفروضة على الانسان من قبل الانظمة الفاسدة سواء في العصور القديمة ام في عصرنا الراهن، والرسول (صلى الله عليه وآله) لم يأت لهذا الغرض صدفة، فلم يكن من المصادفة ان تقع حوادث غير طبيعية عند ولادة النبي (صلى الله عليه وآله) من مثل انطفاء نيران المجوس، ومنع الجن والشياطين من العروج الى السماء، واستراق السمع، ان هذه التطورات لم تكن إلا بدايه منعطفات خطيرة ستشهد بها البشرية مستقبلاً. ويحدد لنا الله - تعالى - في الآيات الكريمة السابقة المقطفة من سورة الاعراف ما يجب ان نفعله تجاه شخصية النبي (صلى الله عليه وآله)، ففي هذه الآيات يذكر - عز وجل - نعمه على الانسان عبر الرسول والرسالة، فهناك مزايا انعم بها الخالق على الانسانية من خلال الرسول سواء تجسدت هذه النعم في شخصه أم في الرسالة، فهو (صلى الله عليه وآله) رسول جاء برسالة، وهو لا يتصرف وفق هواه كما يقول - تعالى -: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى - إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم / ٣ - ٤). وهو من جهة ينتمي الى الامة الاسلامية، فهو لا ينتمي الى ارض ولا قوم، ولا الى أى عنصر آخر، بل هو اسمى من كل ذلك.

### رسول وكتاب ورسالة

وهو من جهة ثانية منفصل عن الثقافة الجاهلية، ورواسبها، واغلالها، وخبائثها، وهو أسمى لا يقرأ كتابا، بل هو كتاب بحد ذاته ورسالة،



كما يشير الى ذلك - عز وجل - فى قوله: (النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) (الاعراف / ١٥٧). فالتبشير به (صلى الله عليه وآله) كان موجودا فى كل الكتب السماوية وخصوصا فى العهدين المقدسين لدى اليهود والنصارى. وعلى هذا فان منية الله علينا بمبعث الرسول (صلى الله عليه وآله) عظيمة، وقد وضع - تعالى - لنا برنامجا نفى من خلاله بحق الرسول (صلى الله عليه وآله) علينا، وذلك من خلال الايمان به ونصرة رسالته: (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ) (الاعراف / ١٥٧). وانها لمكرمة عظيمة عندما ترتفع اصواتنا جماعيا بالصلاة عليه وآله بمجرد ان يتناهى اسمه الكريم الى اسماعنا، فماذا نعنى بالصلاة على النبي وآله؟ ان هذه الكلمات تعنى من جهة اننا ندعو الله - سبحانه وتعالى - ان يصلى عليه، وصلاة الله على الرسول هى فى الحقيقة رفع لدرجته ودرجة امته؛ فنحن عندما نقول: "اللهم صل على محمد وآل محمد" فاننا ندعو بصورة غير مباشرة لأتمته بالرفع والمجد والصمود، وعندما نذكر آل الكرام فاننا نعنى بذلك ان المرء انما يكرم فى أهل بيته وفى بنيه، واکرامنا للرسول (صلى الله عليه وآله) يتم عبر تکریمنا لأهل بيته الذين جددوا رسالته، وكانوا امتدادا لشخصيته الكريمة.

### التكريم والتعظيم لا يكفیان

ثم يستأنف - تعالى - قائلا:- (وَنَصِيْرُوهُ) (الاعراف / ١٥٧). فالتكريم والتعظيم لا يكفیان لوحدهما بل لا ينفعان إذا لم نصره، ونصرة الرسول (صلى الله عليه وآله) تتجسد اليوم فى نصره رسالته وخطه. ونحن ينبغى علينا ان لا نرى شيئا إلا عبر شخصية النبي (صلى الله عليه وآله)، كما يشير الى هذا المعنى - تعالى - فى قوله: (وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ) (الاعراف / ١٥٧)، ونور الرسول (صلى الله عليه وآله) يتجلى فى القرآن، وسيرته الشريفة التى دعانا الخالق - عز وجل - الى التأسى بها فى قوله - عز من قائل -: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الاحزاب / ٢١). ترى كيف نجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) اسوة حسنة لنا؟ ان هذا غير ممكن إلا من خلال معرفة سيرته، وفعاله، وسلوكه، ومواقفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكيفية ادارته للأمر، وتعامله مع الناس، فجعله اسوة لنا يعنى الاقتداء به (صلى الله عليه وآله).

### رسالة متميزة

ان رسالة النبي كانت رسالة مكتوبة، ولذلك فانها متميزة عن باقى الرسالات السماوية، ذلك لان الكتابة كانت قد انتشرت فى الجزيرة العربية بعد انتشار الدعوة الاسلامية، ولذلك فقد تمت كتابة سيرته واحاديثه ومواقفه ومفردات تعامله مع الناس. وفيما يلى نقل بعضاً من مواقفه، وسلوكياته السامية الرفيعة مع الناس الذين كانوا يعيشون حوله؛ فقد روى اصحاب السيرة انه لم ير مرة يصافح احدا ثم يكون هو البادئ بسحب يده من يد الطرف الآخر، بل كان ينتظر ان يسحب الطرف الآخر يده منه. وفى الرواية عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقسم لحظاته بين اصحابه، فينظر الى ذا وينظر الى ذا بالسوية. قال: ولم يبسط رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجليه بين أصحابه قط، وان كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله (صلى الله عليه وآله) يده من يده حتى يكون هو التارك، فلما فطنوا لذلك كان الرجل اذا صافحه قال بيده فترعها من يده. [٢٨] وكان (صلى الله عليه وآله) محباً للايتام، عظيم العطف عليهم ذلك لانه شب يتيماً، وذاق مرارة اليتيم فى حياته. وقد بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) مستوى من العدالة لم يستطع احد ان يبلغه، وفى هذا المجال يروى انه (صلى الله عليه وآله) فى آخر أيامه عندما اشتد به المرض صعد على المنبر وطلب من المسلمين ان يطالبوه بحقوقهم، فقام رجل وطلب منه (صلى الله عليه وآله) ان يقتص منه وقال انك يا رسول الله قد ضربتني بعصاك على بطني فى احد الايام، فقام الرسول (صلى الله عليه وآله) واعطى عصاه لهذا الرجل، فما كان من هذا الرجل إلا ان قبل بطن النبي (صلى الله عليه وآله) بدل ان يقتص منه. ان المواقف الرسالية التى وقفها رسول الله (صلى الله عليه وآله) من جاهلية قريش لتدل على عظمة هذه الشخصية، فلقد استطاع (صلى الله عليه وآله) بهذه الشخصية الفريدة ان يحول تلك الفلول المتناحرة المنتشرة فى



انحاء الجزيرة العربية الى امه واحده بعد ان كانت مجرد قبائل تتصارع ويقتل بعضها بعضا لسنوات عديدة، وقد استطاعت هذه الفلول التي جمعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحت راية الايمان والتوحيد ان تفتح الشرق والغرب ليجعل منها امه ذات حضارة شامخة.

### دراسة السيرة النبوية ضرورة

وهكذا فإن السيرة النبوية جديرة بالدراسة، وان عدم دراسة هذه السيرة انما هو اجحاف بحق النبي (صلى الله عليه وآله). فهذه السيرة يجب ان تكتب في كل سنة مرة على الأقل، وان تصاغ في كل مرة بما يتلاءم ومتطلبات العصر، وتؤكد هذه الحاجة بالنسبة الى المجاهدين في كل مكان. ولذلك فان كل انسان رسالي يجب ان يكون في مستوى وعي ومواجهة الاحداث، وان يأخذ من سيرة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) ما يذلل امامه الصعاب، وعلى سبيل المثال فانه (صلى الله عليه وآله) كان قلبه يمتلئ حبا لأمته، فعندما خرج من مكة الى الطائف، ولاقى ملاقاه من اذى وجفاء، ورمى بالحجارة حتى سال الدم من قدميه، فانه مع كل ذلك رفع يديه الى السماء قائلاً: "ولك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك" [٢٩]. وايضاً في يوم حنين حينما سقط (صلى الله عليه وآله) اليالارض على أثر ضربة، وقد انكسرت رباعيته، والدم يسيل على حروجه، قال: "اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون" [٣٠]. هذا هو الحب العظيم الذي ينبغي لكل انسان رسالي ان يضمه في قلبه لأمته، فعلى الرغم من المآسى التي كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يعيشها في حله وترحاله إلا انه كان يدعو بالخير لقومه، ويرى ان هذا العمل وما يسببه من مآسى ومحن بالنسبة له انما هو قليل في ذات الله - تعالى - ان توسلنا بالرسول (صلى الله عليه وآله) يستلزم قراءة التأريخ لمعرفة السيرة النبوية، فاليوم هو يوم الاحزاب، وقوى الكفر والنفاق والضلالة متألفه الآن ضد المسلمين في حرب شعواء ضدهم، وعلى شعوبنا ان تستلهم من السيرة النبوية المباركة الزخم الثوري لمواجهة تلك الحرب، ولتعلم هذه الشعوب ان الله - عز وجل - سوف ينصر المجاهدين الرساليين في كل مكان. ان دراسة السيرة النبوية تمثل ضرورة وخصوصاً اذا ازدحمت الاحداث، وضائق الحياة بالمؤمنين، ومن هنا فان على المفكرين، والعلماء ان يعيدوا صياغة السيرة النبوية بحيث تتلائم مع مقتضيات العصر لان فيها من المرونة ما يوافق وينسجم مع كل عصر ومكان، ومن هنا يجب نبذ الخلافات، وتوحيد الصف، والالتفاف حول راية الرسول (صلى الله عليه وآله) من خلال تنفيذ أوامره، وتعظيمه، وتوقيره، وجعله محور الوحدة الاسلامية، ورمز توحيد الطاقات.

### نهج الحياة في سيرة النبي الأعظم

#### اشاره

لا أحلى ولا أروع من الحديث عن سيرة نبي الاسلام الأعظم (صلى الله عليه وآله)، لاسيما وإن كان الحديث حديثاً يخرج من القلب ليدخل الى القلب؛ لا تحده الحدود ولا تؤطره الأطر، فهو يمتد بامتداد نور النبوة، ويتخلد بخلود الرسالة. ونشير في هذا الحيز الى مفصل مهم من مفاصل السيرة المحمدية التي تشكل بدورها منعطفاً ذا بال في هذه السيرة. إذ كان الرسول (صلى الله عليه وآله) واقفاً.. ثابتاً بقامته التي ارتفعت في الفضاء؛ على جبل مشرفاً على هضبات مكة المكرمة، كانت نظراته الواقدة متجهة صوب الكعبة وهي ترهبو بجلالته وعظمتها وقد مضى على حمله الأمانة الإلهية المقدسة ما يقرب من ثلاث عشرة سنة؛ حملت في كل لحظة من لحظاتها آيات العزم الراسخ والتحدى العظيم والألم الرهيب. كان الرسول (صلى الله عليه وآله) واقفاً يودع بيت الله الحرام؛ فهذه مكة المكرمة؛ اقدس ارض خلقها الله سبحانه وتعالى، واعظم بقعة شرفها الله حيث ولد الرسول (صلى الله عليه وآله) وترعرع، وحيث مهوى افئدة المؤمنين، وحيث محجة الأنبياء والاوصياء، وحيث مهبط الملائكة المقربين. هذه مكة يودعها حبيبها على انفراد.. في لحظة اختصرت كل ثقل الرسالة وهمومها. فهو عانى الأمرين من أهل مدينته ولم يكن رأى منهم إلا العناد والغرور، ولم يتلق منهم - إلا

القليل ممن آمن بهم - سوى توجيه التهم الرخيصة، ولقد بلغ بهم حقدهم الأعمى على رسولهم الرحيم أن وقعوا بالمستضعفين من أصحابه ممن لا ظهير لهم تعذيباً وتقتيلاً، وكان السابقون للقاء الله آل ياسر الذين نكل بهم حتى الاستشهاد، وإزاء هذا المنظر المفجع لم يكن يسع الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا أن يحث أصحابه وينفخ فيهم روح التحدى والاستقامة حتى يأتى نصر الله الذى وعده.

### معاناة الرسول الأليمة

ولقد يتذكر النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) على وقفه وداعه الأخير كيف حاصره مشركو قريش فى شعب أبى طالب، حاصروه وأتباعه المؤمنين حصاراً منعوا فيه الناس من الاتصال بهم واتصالهم بهم، حصاراً اضطروا فيه الى اكل ما تبقى من الأوراق الصفراء فى أشجار الشعب الجرداء؛ إلا منه! وفى خضم آلام سنين الحصار الثلاث توفى عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكفيله.. مؤمن قريش ابو طالب (سلام الله عليه) كما توفيت فى السنة ذاتها زوجته الوفيه خديجة الكبرى أم المؤمنين (سلام الله عليها). وبعد معجزة الأرضة التى يحدثنا التاريخ الاسلامى عنها؛ حيث بعث الله الأرضة لتأكل وثيقة التآمر الجاهلى التى قضت بمحاصرة الثلة المؤمنة فى الشعب المشار اليه وتحريم التعامل معهم، وأخبر جلت قدرته رسوله الكريم بنبأها، فعرض الرسول (صلى الله عليه وآله) التحدى الإلهي للمشركين، الأمر الذى اضطهرهم فيه الى فك الحصار، بعد أن لحقهم الخزي والعار.... وعاد الرسول (صلى الله عليه وآله) الى مكة؛ ولكن دون حماية من عمه الرؤوف أبى طالب، بل تحت حماية أعدى أعدائه أبى لهب الذى انتهت زعامته بنى هاشم إليه آنذاك. ابو لهب الذى كان يبتدع الأساليب الشيطانية لا يذأ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وكان حريصاً كل الحرص على تشويه سمعة الرسول وتوجيه التهم اليه فى اوساط القبائل والعشائر القادمة الى مكة واسواقها ومشاعرها، ولقد كان يمشى وراء الرسول (صلى الله عليه وآله) كلما مشى الى وفد من الوفود داعياً إياهم الى الاسلام والتصديق به، فكان ابو لهب يأتى الوفد منهم قائلاً: ان هذا ابن أخى وانا عمه وهو كذا وكذا، وينسب اليه التهم الرخيصة. ووصل به الأمر أن فوض الأمر لمشركى قريش لأن يدبروا مؤامرتهم الجديدة التى تستهدف حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) ونفسه، على أن يضيق دمه الشريف بين القبائل العربية من قريش وحلفائها.

### لحظة الوداع المقدسة

هنا؛ كانت لحظة الوداع، بعد أن عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) الى الامام على (عليه السلام) ان يبيت فى فراشه ومضى الى سبيله باتجاه المدينة، باتجاه إقامة الدولة الاسلامية، وفتح صفحة جديدة من صفحات التحدى والجهاد. وحينما وصل (صلى الله عليه وآله) الى تلك القمة ووقعت نظرتة الشريفة على بيت الله الحرام وما حوته أركانه الشريفة من سنى الجهاد المضنى لثلاثة عشر عاماً، دمعت عيناه وأثقلت الهموم برمتها على قلبه الطاهر. فما كان من الوحي إلا أن نزل عليه ب (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ) (القصص / ٨٥) أى ان ثم عوده الى مدينتك مكللاً بالنصر بالعزة. وإذ ذاك اطمأنت نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) فترك مكة ميمماً وجهه شطر المدينة المنورة. فكانت مراحل تأسيس الدولة الاسلامية العظيمة بما تعنى من سن القوانين وتنفيذها، وما تعنى من جهاد قل ان شهد التاريخ له مثيلاً. فمن تربية المؤمنين وتهذيب انفسهم وسلوكياتهم حتى خوض الغزوة تلو الغزوة الى الوقوف بوجه المنافقين الذين كان خطرهم على وجه الحتم أشد وأعتى من خطر اعداء ما وراء الحدود. وعلى أية حال، فان الباحث والمهتم بشؤون سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) لا يقف عند حدث حتى تأخذ بلبه أحداث اخرى، ولا يتابع نقطة معينة فى هذه السيرة المباركة حتى تستهويه نقاط غيرها، قد تكون بدورها اشد الحاحاً لإضفاء مزيد من الأضواء عليها.

### تساؤلات..

والآن يمكننا القول بان ثم تساؤلات كبيرة تفرض نفسها علينا فى هذا الاطار، ولعل الإجابة عليها تدلنا على السر الأول الذى مكن

الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) لأن يكون الرجل الصالح الأول على مر التاريخ؟ وان يكون قائدا للأمة الوسط، وبانيا لحضارة القبائل العربية المتناحرة؛ الغارقة في ظلمات الجهل والشرك والخوف والسيوف والاغتيال والتأثر.. وكيف تحولت هذه القبائل الجاهلة الى أمة اسلامية - بقيادة هذا الرسول الفذ - ذات حضارة عريقة لانزال نحن المسلمين، بل وغير المسلمين من الأمم الأخرى نعم بظلمها بما تمثل من عمق فكري وعلمي وادبي و... وماذا كانت لدى الرسول (صلى الله عليه وآله) من وسائل في عملية بنائه الصرح الاسلامي؟ ونحن الآن بعد ما يزيد على الف واربعمئة عام ماذا يتوجب علينا ان نقوم به حتى نعيد تلك الأمجاد، ونعود الى تلك الحضارة التليدة والتي كان الحاكم يخاطب الغمام: إمطري.. شرقى غربى فخراجك يأتيني؟ ان هذا سؤالاً أو اسئلة لا بد من العثور على اجوبة لها لنتمكن بذلك من ان ننقذ انفسنا من هذا الواقع المتخلف ونذهب بها الى واقع آخر.

### ركائز العمل القيادي

هناك ثلاثة ركائز اساسية استطاع الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) عبرها ان يغير وجه التاريخ، وكلما اردنا ان نعيد الأمجاد الماضية لا بد من الالتجاء اليها باعتبار ان معرفتها واستفادة العبر منها تمثل الدواء الناجع لما نصبوا إليه.

### اسقاط حجب الشرك

الركيزة الأولى: إن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) استطاع بحكمته البالغة ان ينشر القرآن وتعاليمه القيمة وأن يسقط حجب الشرك عن البشرية. فالانسان بذاته ووجدانه موجود الهى وربانى مفطور على الايمان والتسليم بوحدانية الله تبارك وتعالى. وهذه الفطرة تدعو الانسان الى تحمل المسؤولية فى الحياة، وتدعوه الى النشاط والحيوية، إلا أن حجب الشرك تتكالب عليه لتمنعه من الاشرار والتوحيد الذى هو رأس امارات الحياة والوجود لديه. فالانسان فى واقع الأمر يعيش صراعاً داخلياً مريراً؛ متعدد الصور والأشكال؛ متفاوت الدرجات، سواء اعترف بوجود هذا الصراع او اصر على إنكاره. فالمرء بطبيعته عابد لله تعالى متشرف بالخضوع اليه؛ وبفعل تأمر النفس ووساوس الشيطان وعصرات الزمن يتحول عبداً لعبد آخر او صنم او غير ذلك من الآلهة المزيفة! فالبعض من القوم كان يعبد الثمر، والآخرون كانوا اذا مروا على صخرة تتمثل فيها صورة انسان أو حيوان او ما يشبههما باتفاق الصدفه فانهم يتوقفون عندها ويعتقدونها إلهاً من دون الله سبحانه. إن هذه الحال تعد الذروة فى الفراغ الفكرى والعقيدى، وليس ذلك إلا نتيجة من نتائج الخضوع لحجب الشرك. فالنبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) واجه واقعاً مريراً كهذا الواقع، وبفضل وتوجيه الآيات القرآنية الكريمة، وبالعمل على انتزاع داعى الشرك هذا تحول الانسان فى الجزيرة العربية الذى لم يكن غير كتلة من الركود والقيود والاسر؛ تحول الى شعله من النشاط والحيوية والفاعلية. إذن؛ فالداعى الدافع الذى يتجسد فى رغبة بنى البشر فى التملص من المسؤولية الملقاة على عاتقه بالفطرة، المسؤولية التى يعبر عنها القرآن المجيد بـ "الأمانة" التى عرضت على السماوات والأرضين والجبال فأبين ان يحملنها، الأمانة التى هى اثقل من النماذج - أنفء الذكر - على قلب الانسان الذى يحاول التهرب من حملها، فتراه يتوسل بالشركاء والآلهة المزعومة من دون الله تعالى. فهو قيد نفسه ومصيره بالاعتقاد الأجوف بأن الخشب أو الثمر أو الحجارة أو رئيس القبيلة سيقربه من الله زلفى وينقذه من نار جهنم، وهو فى ذلك ما يخدع إلا نفسه. إن التاريخ يشير الى ان الازمة البشرية فى هذا الإطار لم تكن أزمة عقلية او ذهنية. فالفكر والتفكير باسسط انواعه وتركيباته يؤكد للانسان ان الصنم - الحجارة - لا يضر ولا ينفع. بل إن ازمة بنى الانسان التاريخية لاتعدو كونها أزمة نفسية. وهذه الازمة هى التى أودت بالناس لأن تعبد الاصنام ولا تزال تتوسل بالأوهام والتمنيات على اشكالها العديدة. لقد جاء القرآن؛ وجاءت سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) لتحذر الانسان من ان هذه الأصنام ليست لاتنفع ولا تضر فحسب، وانما تهوى به الى النار حيث المصير ذى الاحوال الخالدة إلا- ان يشاء الله. كما صرح الله تعالى فى القرآن بان الاموال والأولاد والحسب والنسب الى زيد أو عمرو ليست ميزانا يعتمد لتحديد المصير الموعود. وما أروع صراحة الرسول (صلى الله عليه وآله) مع

الناس اذ كان يوجههم نحو تحمل مسؤولياتهم الموكولة بهم. لقد أعلن لهم بكل بساطة ووضوح ان الايمان لا ولن يدرك بالتمنى ولكنه وقر في القلب يصدقه عمل الأركان، والايمان من دون اقترائه بالعمل الصالح ليس إلا كذب تافه. والقرآن الكريم لم يحثنا على الايمان إلا ويحثنا على العمل الصالح. ولقد ضرب لنا الأمثلة المتنوعة على ذلك، وذكر قصص أسلافنا من الناس ليوضح في طياتها محاسن اقتران الايمان بالعمل الصالح، وليوضح ايضا الصورة المضادة لذلك.

### كلكم مسؤول

وعلى العموم، فان القرآن الكريم وسيرة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) اسقطا حجب الشرك عن اعين الناس؛ فإذا بهم يواجهون مسؤولياتهم بشكل مباشر. وحينما قال لهم نبيهم (صلى الله عليه وآله): "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" [٣١]. تجلت الانسانية في ضمائرهم وحركاتهم، وتحول اولئك الجامدون الساكنون، اولئك الناس الذين يحترقون تضییع أعمارهم في اللهو والصيد والخرافات، تحولوا الى أمة حيّة فاعلة، واصبحوا رقماً يحسب له سكان الأرض جميعاً حسابه. وقد وصف امامنا أمير المؤمنين على بن ابي طالب (عليه السلام) بعض أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) قائلاً: "كانوا والله رهبان الليل وفرسان النهار." ان هؤلاء صنعهم الرسول المصطفى بفضل إزاحه حجب الشرك التي في مقدمتها دحض التمنيات والأمانى. ولم يوجه القرآن الكريم النصح للمسلمين فحسب، وانما توجه بالخطاب الى أهل الكتاب الذين كانوا يستحلون الخضوع للأوهام القائلة بان مجرد الانتماء الى دينهم كاف لهم عن السقوط في جهنم، وتؤكد الآية المباركة ب (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (المائدة / ٦٩) تؤكد ان شرط الخلاص هو الايمان والعمل الصالح. فبمجرد ادعاء أحد ما انتماء الى الاسلام أو اليهودية أو النصرانية أو الصابئة غير جدير - البتة - لأن يكون المقياس في تحديد مصير الانسان في الدار الآخرة، بل لعل العكس هو الصحيح؛ باعتبار ان آحادية الإيمان قد تؤدي بالانسان الى المهلكة التي حذر الله منها مراراً.

### المنفذ الأول الى الجنة

أما الركيزة الثانية في ارتقاء الرسول (صلى الله عليه وآله) قمة القيادة - وهو القمة أبداً - فهي: إقناع الناس بان العمل الصالح هو المنفذ الوحيد. فحينما كان المسلمون ينظرون الى القرآن ويتلون آياته الكريمة كانت بصائرهم متفتحة وقلوبهم متدبرة ما تحويه، وحينما كانوا يصلون الى قول الله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ - وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلزلة / ٧-٨). كانت تتفجر كل كوامن طاقاتهم، كانت هذه الآية ومثيلاتها باعثة على تحويلهم الى كتل من النشاط والحيوية. ولقد جاء أحدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً من البادية قائلاً: يا رسول الله! انا رجل أعيش في البادية البعيدة ولا يمكنني الوصول اليكم كل حين، وأحب ان توجز لي الدنيا كلها بكلمة واحدة حتى أعقلها.. وأعمل بها. فتلا عليه النبي (صلى الله عليه وآله): (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا - وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا - وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا - يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا - بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا - يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ - فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ...) وعندما وصل الرسول (صلى الله عليه وآله) الى هذه الآية قام الرجل قائلاً: حسبي يا رسول الله. مثل هذه الآية الشريفة كان يبعث الذين اتبعوا الرسول على استغلال كل لحظة من لحظات حياتهم للعمل والحيوية، فكانت حركاتهم نضالاً مقدساً، ولم تكن بأى شكل من الاشكال تعنى السكوت والجمود واللهو. ووقف احد الغبراء بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله) الذي كان جالساً بين أصحابه - حيث ان من عاداته (صلى الله عليه وآله) أن يجلس جلسة العبد، وما كان ما يميزه عن المحيطين به، حيث لم يكن بمستطاع من لا يعرفه ان يميزه بمظهره عن أصحابه فإذا بالرسول يتفوه بكلمات معدودة انفض الجمع على أثرها مسرعين؛ كل باتجاه. فقال القادم: ما بكم؟ وماذا قال لكم هذا الرجل - النبي (صلى الله عليه وآله) -؟ ولماذا تحركتم بهذا الاسلوب واتجهتم باتجاهات مختلفة؟ فقال قائل منهم: هذا رسول الله الينا، ونحن نصدق به ونؤمن، وقد حدثنا بحديث. فقال: فلماذا والى اين

انطلقتم؟ فقال: انطلقنا لنطبق الحديث. قال: وكيف؟ قال: نعمل بالحديث الأول الذي سمعناه ثم نعود الى الرسول لنستمع الى الحديث الثاني. ان المسلمين في الصدر الأول للاسلام كانوا يطبقون الى حد كبير الآيات القرآنية، والذي دعاهم الى ذلك احساسهم العميق وشعورهم الصادق وايمانهم الحق بأهمية العمل الصالح، وكانوا على اعتقاد راسخ بان هناك يوماً آخر لا يحكم فيه سوى ميزان العمل. ولقد قرأوا حَكَمَ القرآن الكريم القائلة بان (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) (المؤمنون / ١٠٣) هو الذي تحيط به خطيئته. أى ان من كان فى كتابه عملاً صالحاً وسيئاً، ورجحت كفة العمل السيئ - والعياذ بالله - فانه كان كمن لم يكن له عمل صالح حيث تلم به خطوب الخطايا من كل حذب وصوب. ان هذه البصيرة وهذا الوعي كانا يدفعان بالمؤمن آنذاك الى الاستزادة من اعماله الصالحة، وهو كان على يقين من أمره بان كلمته مقدسة واحدة ينطقها من شأنها ان ترفع من منزلته يوم القيامة وتنقذه فى أخرج المواقف. وما أوسع رحمة الله سبحانه وتعالى، حيث جعل للمؤمنين سبلاً لا تحصى لممارسة عمل الخير والصالح. ولقد فتح الله لنا اسباب الايمان والعمل الخير فى انفسنا، وكان ذلك ان يقرر الشيطان اللعين القعود لنا عند الصراط المستقيم. وتحضرني رؤيا أحد المؤمنين الذى توفى أبوه ورآه فى المنام، اذسأله عما كان من مصيره فى عالم البرزخ والحساب الأول. فأجابه الأب: بعد وفاتي جاؤوا بالميزان ووضعت أعمالى الصالحة فى كفة والأعمال الأخرى فى الكفة المقابلة فرجحت كفة أعمالى السيئة على الأعمال الصالحة، وهناك كلما استعطفهم بارجاعى الى الحياة الدنيا لم يكن ندائى ذا وقع عليهم؛ وحتى كدت ان اخسر الميزان، اذا بملك من الملائكة استوقف من أمر بسوقى الى جهنم قائلاً: هناك عمل من أعمال هذا الرجل ما وضعناها فى ميزانه. ثم كشف عما كان فى قبضته، حيث كانت حفنة من تراب ووضعتها فى الميزان فى كفة الحسنات فاذا بها ترجح على كفة سيئاتى وصرت من أهل الجنة. فسألت هذا الملك الكريم عن قصة حفنة التراب التى كنت نسيته. فقال: فى يوم من الايام كنت تشيع مؤمناً عند قبره ثم أهلت هذه الحفنة من التراب بعد دفنه، ويأبى الله أن يذهب عملك الصالح هذا سداً. وعلى الطرف النقيض من ذلك هناك الاعمال السيئة ومما يمكن ان تلحق بالانسان الغافل عن مصيره. ولا ننسى المثل العربى المعروف " القشة التى قصمت ظهر البعير " فقد تكون هناك قشة واحدة من شأنها ان تغير من حركة الميزان باتجاه تعاستنا الابدية. ومن هنا لايجوز لنا باى حال من الأحوال ان نستعين بالعمل الصالح فنتركه، او نستعين بالعمل السيئ ونتركه رجاء مغفرة الله سبحانه. نعم، ان الله عز وجل ارحم الراحمين، لكن لايعنى ذلك انه يغفر للانسان دون ان يكون فى كتابه أعمال صالحة. (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) (هود / ١١٤) فالعمل الصالح يحول السيئات الى حسنات، وليس السيئات تتحول بذاتها حسنات... لقد اصبحت القبائل الجاهلة أمه ذات حضارة شماء بفعل ما كان يبعث فيها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) مثل هذه العقيدة الصالحة. فكان (صلى الله عليه وآله) يتقدم المؤمنين من أصحابه فى ساحات الحروب بنفس الدرجة التى كان يحثهم على التقدم فى القتال ومواجهة الأعداء، كان يتقدمهم فى ممارسة العمل الصالح وتهذيب الذات وخدمة الناس بنفس الدرجة التى كان يحثهم على ذلك. والآيات القرآنية الكريمة اكدت فى غير موقع بان ذات رسول الله (صلى الله عليه وآله) تواقه الى ان تكون الانموذج الأعلى فى ممارسة ما هو خير وصالح. ومن هذه الآيات: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (آل عمران / ١٢١). أى انك ايها الرسول قد سبقت المؤمنين فى الاستعداد الميدانى لقتال أعداء الله، والقيام بمهام التخطيط والاستعداد له قبل الجيش الاسلامى، وهذا بطبيعته يمثل القمة فى الاثار والجرأة والشجاعة، حيث يعتمد القائد الى تنفيذ مثل هذه المهمة. ولقد صور لنا أمير المؤمنين على (عليه السلام) شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) و شجاعته فى القتال بقوله " كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يكن أحد منا أقرب الى العدو منه " [٣٢].

### الرجل الأول فى التاريخ

كان النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) - وهو الانسان الأول فى التاريخ - يسارع الى عمل الخيرات مبادراً الى ممارسة كل ما من شأنه ان ينعكس بالاجاب على نفسية اصحابه وتربيتهم. وحينما قرر بناء أول مسجد للمسلمين فى المدينة المنورة أمر المسلمين بان



يأتوا ويضعوا حجر البناء، وكان كل مسلم يحمل حجراً واحداً وكان هو - القائد - يحمل حجرين معاً، وكلما أراد المسلمون ان يخففوا عن نفسه كان جوابه النفي؛ مؤكداً ان القائد لابد له من الفعل المضاعف. فياترى ماذا كان بوسع الرعية الصالحة ان تتخذ من مواقف ازاء هذا الايثار والتضحية النبوية غير الاقتداء والالتزام؟!

### الاستقامة ثم الاستقامة

أما الركيزة الثالثة التي اعتمدها الرسول المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله) في بعث المسلمين على ان يكونوا أمة صالحة فهي: تمسكه بمبدأ الصبر والاستقامة وحثهم على الالتزام به. وقد جعل النبي (صلى الله عليه وآله) من نفسه مثلاً أعلى في هذا المضمار؛ حتى قال: " ما أودى نبي بمثل ما أوديت [.. ٣٣]. وقد صرح بهذا التصريح العظيم وهو الذي (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى - إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم / ٣ - ٤). ولمزيد من التبصر بهذا الحديث النبوي الشريف لابد لنا من قراءة تأريخ الرسل والانبياء (عليهم السلام) وما تعرضوا له من أذى وتعذيب وتنكيل لا يليق بأى حال من الأحوال بشخصياتهم ومقاماتهم الرفيعة. لكى نتعرف على عظمة الرسول وموقعه عند ربه عز وجل، أوليس الأجر على قدر المشقة؟! وفوق ما كان يتعرض له (صلى الله عليه وآله) من أذى جسدى ونفسى كان يؤمر بالصبر والاستقامة من قبل الله تعالى حتى قال يوماً: " شيتنى سورة هود " ف قيل له: لماذا يا رسول الله؟ قال: لآية فيها، فاستقم كما أمرت ومن تاب معك. " وتحدثنا السيرة النبوية الشريفة ان الرسول (صلى الله عليه وآله) حينما استشهد العشرات من اصحابه البررة ومن بينهم حمزة سيد الشهداء (عليه السلام)، وفر قسم كبير اثناء وبعد انتصار المشركين فى معركة احد، واصابته ومن تبقى معه وفى مقدمتهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بالبلغ من الجراح؛ بعد كل ذلك عاد (صلى الله عليه وآله) الى المدينة - والمسافة من أحد قريبة - وحينما أخذ ينزع لامة حربه هبط عليه الأمين جبرائيل (عليه السلام) قائلاً: يا رسول الله أتنزع لامة حربك والملائكة ما نزعوا لاماتهم؟! ان الله سبحانه وتعالى يأمرك بأن تلحق بالمشركين؛ انت والمجروحون معك. وقد انصاع الرسول (صلى الله عليه وآله) لهذا الأمر الالهى فذهب الى الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) فرآه وقد اثخنه ما يزيد على سبعين جرحاً بليغاً وكانت الدماء تنزف منهما على السواء، فقال (صلى الله عليه وآله): صبرا يا أبا تراب! فقال (عليه السلام) يا رسول الله ان هذا موضع الشكر. فقاما ومعهما النخبة الخالصة من أصحاب الرسول، وقاد بهم المعركة التى سميت بمعركة (السويق) حيث ألحق بالمشركين هزيمة نفسية نكراء، لم يتذوقوا بعدها طعم الانتصار أبداً. بهذه الآيات من الصبر والاستقامة والصمود تمكن النبي (صلى الله عليه وآله) من خلق الأمة التى كانت حتى وقت قريب من ذلك العهد ميداناً للتناحر والبغضاء والهزيمة والخنوع.

### دورة التاريخ

#### اشاره

... والآن عاد علينا التأريخ الجاهلى بدورته أو أعدناه نحن على أنفسنا، ذاك وهذا التأريخ المخزى حيث تداعت وتنداعى علينا الأمم كما تتداعى الأكلة على القصة، كنا قبل الاسلام وصرنا الآن مجرد مواد خام وإمكانات واسواقاً وساحات لاستعراض السيطرة الأجنبية نتوجه حيث يريد لنا أعداؤنا. حل بنا كل ذلك بعد ان تركنا نهج الرسول (صلى الله عليه وآله) وما رسمه لنا من برنامج حياة حرة. واذا احرر هذه السطور فانه يسقط طفلان من الجوع كل دقيقة فى العراق جراء الحصار المفروض على الشعب دون حكومته الظالمة، وفى البوسنة هناك مئات الآلاف من القتلى وعشرات الآلاف من النساء ذهبن ضحايا الاعتداء والاغتصاب، وفى جمهورية الشيشان يتعرض الناس الى ابشع انواع التصفية العرقية. بل وحتى فى أفغانستان حيث يتناحر الأخوة المسلمون الذين كانوا حتى الأمس القريب يقاتلون الاحتلال السوفياتى فى خندق واحد، هذا فضل عما يتعرض له اللبنانيون المسلمون المحرومون لأطنان القذائف اليهودية

ضمن محاولات إبادة الشعب الفلسطيني على طريقة الإبادة القومية التي تعرض لها الهنود الحمر في اميركا حيث اصبحوا جزءا من مخلفات التاريخ الميت. هذه صورة مبسطة من واقعنا المعاش في ظل السيطرة الأجنبية علينا بعد أن تركنا التمسك بالنهج الإلهي الذي أبلغه الرسول (صلى الله عليه وآله) وأوصله إلينا بكل أمانة وإيثار.

### العودة الى الجذور

أقول: إننا اليوم بأمس الحاجة الى العودة الى النهج النبوي الذي عمل على تنبيه الناس، بانه لا مفر دون اسقاط حجب الشرك عن أعينهم، وإزاحة هذه الغشاوة الشيطانية المتمثلة في ارتكاب السيئات. ان المفترض بنا ان ندرك بأن كل لحظة من لحظات عمرنا محسوبة علينا في كتاب الله الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فالمسلم النزيه ليس لديه ثمة وقت يضيعه في مجالس اللهو والبطالة مثلاً، وهو مطلوب منه على درجة عالية من الأهمية. أن المسلمين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانوا كما هي خلية النحل؛ فمن الايمان بالله الواحد الأحد الى ممارسة العمل الصالح الذي يبدأ بقتال المشركين ويمر بتربية النفس وتهذيبها لينتهي بتحصيل العلم وفتح آفاق الحياة، ليضمنوا بكل ذلك الحياة الأبدية والنعيم الدائم ورضوان الله الأكبر.

### مبعث الهدى

#### اشاره

لقد انبعث النور الالهي من جبل النور (غار حراء) في مثل يوم السابع والعشرين من شهر رجب الاصب، وبدأت صفحة مشرقة وجديدة من تاريخ البشرية.. وأنى كان عمر البشرية على وجه هذا الكوكب الارضى.. هل بلغ الاف السنين؟! ام عشرات الالوف من السنين؟! ام ملايين من الاعوام؟، ومهما كانت الاجابة، تبقى الحقيقة التي اجمع عليها المؤرخون وهي، ان هناك فصلاً شهدتهما حياة البشرية؛ الفصل الاول وهو الذي سبق انبعث الرسالة المحمدية الشريفة، والفصل الاخر هو الذي عقب هذا الحدث العظيم. ففي الفصل الاول لاحظت البشرية بعض التقدم والازدهار والتحول الحضارى في بعض الواحات الخضراء، ولكن في الغلب الاعم رافق ذلك عهود مظلمة غطت حياة البشرية من شرقها الى غربها. فلو القيت ببصرك آنذاك على النصف الشرقي للكرة الارضية، والذي كان يهيمن عليه الحكم الامبراطورى الساسانى الفارسى، والذي امتد من بلاد الرافدين الى اعماق السهل الصينى تقريباً، وكذلك الحكم الرومانى البنظى والذي امتد من بلاد الشام الى عمق القارة الاوربية، لرأيت ما رأيت من صور العذاب والمحنة التي شهدتها البشرية. اما لو القيت بنظرك على شبه الجزيرة العربية بمساحتها الشاسعة والمتراصة الاطراف، فلن تجد الا ظلاماً دامساً وظلماً وتخلخلاً واسعاً وفوضى على كافة الاصعدة والمجالات الحياتية.. بل لم يذق العربى آنذاك طعم القانون والحرية والهناء الا ببزوغ نور الاسلام الذي سطع على وجه الجزيرة العربية.

### حضارة ام فرعونية؟!

لقد حاول ولا- زال يحاول بعض الكتاب الغربيين واصحاب الفكر الالحادى المادى ان ينفخوا فى رماد الحضارات البالية كالحضارة الفرعونية - ان صح اطلاق كلمة الحضارة عليها - متشبثين ببعض نقاط التقدم البسيطة التي رافقت حياة تلك الحقبة التاريخية، متناسين فداحة الظلم وقساوة التعسف الذى قوّم اعمدة تلك الصروح الفاسدة على اساس اذلال بنى البشر والنيل من كرامته المقدسة. انهم يشيرون الى عملية تحنيط الاموات وبناء معبد الشمس (ابى الهول) والاهرامات الثلاثة والقصور المنيعه التي حوت مقابر الفراعنة.. على انها آثار حضارية تستدعى التجليل والاعتزاز من قبل بنى البشر، وقد تناسوا ان هذه الاهرامات ما بنيت إلا على اكوام



من العظام والجماجم البشرية. لقد كان الفراعنة وازلامهم يقتادون المزارعين قسراً لينبؤا مقابرهم التي اخذت بعد حين تناطح في علوها السماء، ولكن على حساب دفن عشرات الآلاف من البشر المعذيين تحت صخورها!! اي حضارة تلك التي يموت فيها الآلاف.. الآلاف من البشر حتى تحيي مجرد ذكرى الفراعنة في قبورهم؟ ثم اي تطور علمي حازه الفراعنة آنذاك عندما ابتكروا لأول مرة عملية تحنيط الاموات؟!.. لقد كانوا يأتون بالمحرومين والمزارعين ويسترقوهم ثم يجوعوهم لكي ينقلوا تلك الصخور التي لم يجتمع الا المئات.. المئات لمجرد تحريك صخرة واحدة من مكانها، وعندما يسقط هذا الانسان العبد ميتا ينزلون على جثته لكي يمتصوا دمه ويجمعون لحمه لكي يستفادوا منهما في عملية التحنيط؟!!

### كسروية وقيصرية

اما الدولة الساسانية المجوسية الكسروية فهي الاخرى كانت تحكمها الطبقات الغنية وقوى العسكر والجيش، بل كانت المرأة هي السلعة المشاعة بين الجميع لكي يتلذذوا منها أنى شاءوا..! اما الدولة الرومانية المسيحية القيصريّة التي ورثت رسالة عيسى (عليه السلام) فقد طالتها يد الفساد كما طالت يد التحريف على كلمات الانجيل المقدس، وما بقيت من ركاثرها الا الهيكل الشكلي لقداسة مزورة وكاذبة للحكم المسيحي والذي لا يهتم سوى الهيمنة والسلطة تحت ذريعة حكومة الله والمسيح! يروى لنا التاريخ ان الرومان عندما دخلوا في معارك عديدة مع المسلمين، اجتمعت قيادتهم العسكرية في احد الليالي وفي خيمة القائد، وتحدثوا عن قوة المسلمين ومدى استبسالهم رغم صعوبة الطرق ووعورة الجبال والوديان التي لم يألفوها وهم تربوا وترعرعوا بالامس في اراضى قاحلة وجرداء، وكان حارس الخيمة يستمع الى حديثهم عند باب الخيمة، فمد رأسه الى داخل الخيمة عندما سمع الاصوات ارتفعت ودار الجدل بقوة حول الامر، وقال: أتأذنون لى ان اتفوه بكلمة حول سبب تقدم المسلمين فى مقابل تقهقرنا؟!.. ولكنهم اخذوا ينهروه وقالوا له: اسكت، كيف تتدخل فى شؤون القيادة. فسكت الرجل، ثم عاد النقاش ثانية حول الامر، فأدخل رأسه ثانية الى الخيمة وطلب منهم الحديث، فرفضوا ذلك ونهروه ثانية.. ثم عاود فى التدخل فى الأمر ثالثة ورابعة، ثم الح عليهم، ففسحوا له لى يتكلم، فقال: ان الجواب على استفساركم هو لى. قالوا: وكيف؟! قال: الدليل على ذلك هو حالى وحال امثالى، فقالوا: وضح ما تقصد؟ فقال: انا كنت بالأمس فى تلك القرية النائية، وكنت اسكن مع زوجتى واطفالى واكدح فى مزرعتى وبيتى وكنت املك عدداً من الابقار والشاء، الى ان جاء جيشكم فصادر جميع اموالى وارضى وقتلوا احد اطفالى ثم اتوا بى عنوة الى هنا لى اعمل حارساً. فأقول واتساءل: كيف استमित واستبسل من اجلكم وانا شاهدت ما شاهدت من ظلم ومفاسد، وكيف يمكن لجنودكم ان يحملوا راية الظلم والجور ويواجهوا ويقاتلوا من يحمل لواء العدل الى العالم؟! وقبل ذلك شهدت بلاد الرومان فتوحات الاسكندر المقدونى الذى جاء من الغرب لى يكتسح الشرق بجيشه، وفعل ما فعل ضد الفقراء والمظلومين لى يبنى امجاداً زائفة له ولمن يأتى من بعده.

### ظلام و نور

لقد جاء الاسلام الى الامم والشعوب لى يعيدها الى حضيرة المبادئ والقيم السماوية الطاهرة، ويخرجها من اغلالها واصرها التى كانت عليها (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة ٢). لقد اجتاحت الفوضى والحروب الضروس الطاحنة بين القبائل العربية وراج سوق الشعوذة والخرافات.. لقد حكمت وتحكمت العصبية القبلية المقيتة بروح وكيان كل من سكن بادية الجزيرة العربية والتي لم تر فى تاريخها اى مدينة او حضارة تذكر، بل لم يقترب إليها فاتحوا البلاد الاخرى لتخلفها المفرط وفقر باديتها القاحلة التى لا تنبت فيها سوى الزرع القليل لملوحة الارض وفقدان الماء الكافى. لقد صنعت هذه الصحراء الغبراء رجل الجزيرة العربية انساناً شديداً، وفصلاً غليظاً، تتآكله الامية والجهل والخرافة والفوضى.. وشاءت القدرة الربانية ان يأتى رجل من بطن الجزيرة العربية وينزل على ابنائها نور العدل والعطف والمحبة

والتعاون والتآلف.. فصنع هذا الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) من هذه الامة المتخلفة بالامس امة تطوى الفيافى كطى السجل فى الصحف بهمتها العالية وروحها الوثابة، وتنشر الخير والفضيلة فى كل مكان كما اعترف اكثر المؤرخين والمفكرين الغربيين بذلك. لقد تحكمت على الديانة اليهودية بعد ان مستها يد التحريف وروح العصبية العنصرية، فاقصرت على قوم بنى اسرائيل عبر سلاله ضيقة لا يحق الانضمام اليها الاخرون، لائن الامم والشعوب الاخرى ليست " من شعب الله المختار! " اما الديانة المسيحية فأصبحت هى الاخرى ألعوبة بيد الحكام ووعاظ السلاطين بعد ان شمرؤا ساعد التلاعب والتجاسر على كلمات الله المقدسة وحرفوها حسب ما تشتهى اهوائهم. ان تسليط الضوء على بعض المفسدات والجرائم التى يرتكبها الانسان اليوم تحت يافطة الدين فى بعض الدول والشعوب الاخرى كالهند والصين وافريقيا - مثلاً - يتلمس جيداً عظمة شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) وبركة البعثة النبوية الشريفة على الامم التى تفتت تحت ظل مبادئ الاسلام وتعاليمه السمحة. فقد سمعت قبل فترة خبراً مذهلاً ولا اكاد لحد الان اصدقته! مفاده؛ هو انه، وخلال السنة الماضية تم اعدام ثلاثة ملايين بنت لمجرد انها بنت! فى الهند، مع العلم ان الزواج فى الهند يتم عبر تقديم المهر والصداق من قبل الزوجة الى الزوج؟! كما ان هناك عادة لازالت رائجة فى هذا البلد، وهى قتل الزوجة فيما اذا مات زوجها، كما تقر بعض قوانين الديانات الهندية! وتتم عملية الاعدام اما عبر دفن الزوجة مع الزوج الميت او عبر حرقها، ويقول صحفى ذهب لمقابلة والد وأم الزوجة التى توفى زوجها: سألهم عن انطباعهم، فقالوا: نحن راضين لان الله يريد هكذا؟! اما فى الصين وافريقيا فهناك امور عجيبة ومذهلة اخرى!

### مقاومة زيف الطغاة

لقد نعمت البشرية ببركة انبلاج نور الاسلام وانتشار مناهج الرسالة الاسلامية بين كثير من بلدان العالم آنذاك ما لم تنعم باقى الامم والشعوب الاخرى، وهذا لا يعنى بالتأكيد ان كافة الحكومات والدول التى رفعت راية الاسلام وادعت تسربلها بلباس الاسلام ان تكون اسلامية فى واقعها وجوهرها. فهناك جملة من الدول والحكومات كحكومة بنى امية وبنى العباس و.. حكمت باسم الاسلام وذلك لمعرفةها بأن الشعوب التى تخضع لسلطوتها لا- ترضى ولن ترضى غير الاسلام ديناً. فلذا لم تجرأ على محاربة اسم ورسم وطقوس الاسلام، بل انبرت لتحريف بعض مفاهيم الاسلام وتشيع بعض التفاسير للقرآن الكريم حسب ما تشتهى مصالحها الدنيوية، كما تفعل جملة من الدول الاسلامية فى الوقت الحاضر. وهنا يأتى دور ائمة الهدى وسيرتهم المباركة فى مقدمة مواجهة صور التحريف المغرضه هذه لتفهيم الامة بحقيقة مبادئها، ولذا كانوا (عليهم السلام) بمثابة (القرآن الناطق) كما يقول مولانا أمير المؤمنين على بن ابي طالب (عليه السلام) بل ان ظهور وبعثه هكذا رساله ربانية عظيمة على يد سيدنا الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) وبهذه المفاهيم والتعاليم المنقذة والنبيلة، تستدعى بطبيعة الحال كما هو ديدن الطغاة عبر التاريخ، المواجهة من قبل الظلمة والفاستين والسعى الحثيث على ان لا تقف تعاليم هذا الدين المبارك بوجه مطامعهم واهواءهم الشيطانية. ولكن بفضل نور الولاية الطاهرة ودور الائمة الاثنى عشر المعصومين من آل بيت محمد (صلى الله عليه وآله) تم احباط كافة صور التزوير والتحريف المتعمد الذى انبرى اعداء الاسلام والمستكبرين للنيل من مبادئ الاسلام وتوجيهها وفق مصالحهم الدنيوية، فكانت سيرتهم ومواقفهم العملية (عليهم السلام) خير دليل ولا زال ببركة احاديثهم الماثورة عنهم لكل من يتلمس الحقيقة الناصعة. وبهذا تم حفظ مبادئ الاسلام وجوهر الدين فى وقت قد ورثت البشرية المبادئ المحرفة لتعاليم موسى (عليه السلام) وعيسى (عليه السلام) فى التوراة والانجيل! واليوم لو القينا نظرة الى خارطة العالم الاسلامى لوجدنا ان صحوة وبعثه محمديّة جديدة اخذت تتسع لتشمل كافة قطاعات ومرافق حياة المسلمين تدريجياً وخطوة خطوة، بل اخذ المسلمون يستعيدون مواقعهم الطبيعية بين الجماهير ويرسمون خريطة العودة الى بناء صرح حضارتهم الاسلامية، التى شيدها الرعيل الاول من المسلمين، كما شيدت حكومة الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) فى المدينة المنورة وكذلك حكومة الامام على بن ابي طالب (عليه السلام) والتى امتدت طيلة اربع سنوات، وحتى حكومة الامام الحسن المجتبى

(عليه السلام) والتي لم تدم سوى ستة اشهر، او حكومته الشهيد مسلم بن عقيل في الكوفة والتي استمرت عدة سويغات!

## من وحي البعثة

ان البعثة المباركة تعطينا دروس عديدة لو تأملنا في جوهرها ومضامينها، فمن هذه الدروس: ١- لابد من قراءة ودراسة البعثة النبوية الشريفة وحياء الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) وسيرته ومشروعه الدعوى للأمة دراسة عميقة. فلا تقتصر دراستنا على مجرد شذرات من ولادة الرسول (صلى الله عليه وآله) ويوم بعثته ويوم وفاته، بل لابد ان تتسع دائرة دراستنا كافة الابعاد السلوكية والاخلاقية والفكرية في كافة مراحل دعوته المباركة، بل تستمر دراستنا ايضا لاستخلاص اهم الدروس من سيرة الائمة المعصومين (عليهم السلام) باعتبارهم المكملين لدور التوجيه والقيادة الربانية للأمة. فنحن قلما نجد خطباءنا وكتابنا وصحفنا يسلطون الضوء الكاشف والكافي على سيرة الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) والائمة المعصومين (عليهم السلام) ويستخلصون الدروس المفيدة لواقع الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للأمة. ٢- لقد بعث الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) وصدع بدعوته المباركة لا لكي يغير ويصلح بعض الظواهر والاشكال والقشور، فلم تكن حركة الرسول (صلى الله عليه وآله) حركة اصلاحية ترميمية، بل كان دوره (صلى الله عليه وآله) دور البناء والمعمار الذي يبني البناء من الاساس ثم يرتقى لبناء الطوابق الاخرى.. انه (عليه السلام) لم يهادن ولم يدهن الاعداء على حساب الدين وتعاليمه، فلذا لم يرض بأنصاف الحلول كما يفعل البعض فقد عرض بعض المشركين عليه (صلى الله عليه وآله) لكي يجمعوا في عبادتهم بين عبادة الاصنام والصلاة، فرفض (صلى الله عليه وآله) ان يرقع في الدين وقيمه. لقد اعاد الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) الانسان من جديد وصاغه من جديد، لقد غير (صلى الله عليه وآله) ثقافته من الثقافة الجاهلية المقيتة الى ثقافة ربانية رحبة، فصنع رجالاً كآبى ذر الغفاري الذي كان هو وقبيلته من قطاع الطرق وحوله الى اصدق انسان حتى قال (صلى الله عليه وآله) في حقه: " ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر [٣٤] وكسلمان الفارسي حتى قال فيه: " سلمان منا اهل البيت " وكذلك عمار بن ياسر والمقداد الذي اضحى كزبر الحديد.. انه (صلى الله عليه وآله) استهدف حركة جذرية شاملة في الامم وفي مختلف الابعاد، فلذا لم يترك الامم في غياهب الأمور ومجاهيل القضايا، بل اعطى رؤى مناهج التحرك العملي على كافة الاصعدة والمجالات الحياتية، هذا ناهيك عن دعوة الامم لمعرفة ائمة زمانهم وقادتهم الميدانيين بعد وفاته وهم ائمة اهل البيت (عليهم السلام). ٣- لقد صاغ (صلى الله عليه وآله) الانسان المسلم على اساس وقاعدة الايمان بالله عبر تقوية وربط العلاقة بين العبد والمولى، بين الضعيف ومنتهى القدرة والعزة اللامتناهية. نحن لو ذهبنا الى (ما ينهاتن) في نيويورك الامريكية وارادنا ان ننظر الى عمارة (امبارست) والتي تتألف من (١٢٠) طابق، او عمارات وبنيات كبرى تناطح السحاب في (شيكاغو) او (طوكيو)، لرأينا انها بنيت على اساس من الصخور او (الرصاص) او أى قاعدة أخرى بشرط ان تكون قوية جداً بإمكانها ان تحمل قوة وثقل (١٣٠ او ١٤٠) طابق على مدى سنين عديدة، فكذلك الانسان اذا تمكن ان يربط قلبه المتحول والملء والمتأثر بدواعي الهوى والشك بمقام العزة الالهية، فلا يمكن زعزعة كيان هذا الانسان المؤمن او تحريفه، وهذا الأمر انتهجه الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) في سيرته لبناء اصحابه وحواريه (رض). روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: " استقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حارثة بن مالك بن النعمان الانصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال: يا رسول الله مؤمن حقاً، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال يا رسول الله عرفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت هواجرى وكأني أنظر الى عرش ربي (و) قد وضع للحساب وكأني أنظر الى اهل الجنة يتزاوون في الجنة وكأني أسمع عواء اهل النار في النار فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله: عبد نور الله قلبه، أبصرت فاثبت، فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يرزقني الشهادة، أن يرزقني الشهادة معك، فقال: اللهم ارزق حارثة الشهادة، فلم يلبث إلا إياماً حتى بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) سريه فبعثه فيها، فقاتل فقتل تسعة - أو ثمانية - ثم قتل. [٣٥]. لقد دعا الحارثة افضل دعاء فكان صحابياً جليلاً وذكياً، وقد عرف كيف يستشعر خوف الله وحبه في قلبه وكيف ينتخب

ويختار الطريق القويم والسليم المؤدى اليه جل وعلا وان يرغب فى ان تكون حياته كلها فى جنب الله فلا يهمله ان تستمر ايام حياته ام تقل، وانما المهم عنده (رض) هو ان تزداد معرفته فى الله يوماً بعد آخر، ولذا اختار طريق الشهادة، ولانه كما يرى الطريق السهل والمضمون الى الجنة من ان يبقى فى الدنيا مع ابتلاءاتها وفتنها العديدة. وبالفعل استجاب الله لطلبه فخرج بعد عدة ايام مع سرية لحرب المشركين فاستشهد هناك (رض).

## رسل الله رمز التحدى

### اشاره

قبل ان ندخل فى رحاب القرآن الكريم، ونستوحى من آفاق معرفته الفياضة، لابد ان نذكر القارئ الكريم بملاحظتين مهمتين:

## الارتقاء الى مستوى التدبر

١- ان على الانسان المسلم ان لا يرى نفسه غير قادر على الارتقاء الى مستوى التدبر فى كتاب الله، والاستفادة من آياته الكريمة، فهناك البعض وبسبب احساسهم بالنقص، والضعف، والحقارة يظنون انهم لم يصلوا بعد الى مستوى القرآن الكريم، فاذا بهم لا يفتحون على آياته الكريمة، ولا يحاولون استيعاب آفاق المعرفة الالهية، بل ولا يسمحون لانفسهم بالتدبر فى القرآن! ومثل هذا الموقف هو موقف عجب، فلولا ان القرآن من الممكن ان يلهم الانسان، ولولا ان الله - تعالى - يعلم انه من الممكن ان يرتفع الانسان الى مستوى فهم القرآن الكريم، لما بعث الرسول بهذا الكتاب، ولما جعله هدى للناس، ولما أرسل رسوله للناس كافة، بل لخصص بالقرآن طائفة من الناس دون غيرها. وعلى هذا فان الخالق - تعالى شأنه - يسر القرآن للذكر: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) (القمر / ١٧). فكل انسان بلغ مبلغ الوعى والادراك هو مهياً نفسياً وذهنيا لمعرفة آيات القرآن، والتدبر فيها، واستيعاب معانيها، وفى الحقيقة فان احياء الانسان الى نفسه انه لا يستطيع فهم القرآن الكريم انما هو من وساوس الشيطان، فالشيطان الرجيم يأتى الى الانسان المسلم، ويوسوس فى صدره قائلاً: اين انت من القرآن؟ ان القرآن هو كتاب الله العظيم ولا يستطيع ان يفهم هذا الكتاب إلا أهله! فاعلق منافذ قلبك عن القرآن اذن، لانك عاجز عن فهمه!! وهكذا يجب على الانسان المسلم ان لا يستصغر نفسه، ولا يستحقرها، فالله - سبحانه وتعالى - أودع فيه هذا العقل العظيم القادر على استيعاب الحقائق، فلماذا نحرم انفسنا من نعمة منحها الله ايانا؟ ان مثل هذا العمل لا يخدم إلا مصالح الشيطان، لانه يريد ان يغوينا من خلال الحيلولة دون دخول النور القرآنى الى قلوبنا. فاذا ما أظلم القلب، سيطر الشيطان، واستحوذت علينا وساوسه وتبريراته وبالتالي همزاته ولمزاته، لينحى الانسان عن الصراط المستقيم.

## انعكاسات القرآن فى القلوب

٢- الحقيقة الثانية التى أريد ان اثبتها كتذكيرة هنا هي؛ ان القرآن الكريم يتجلى فى قلوب الناس، ولكن هذه القلوب قد تكون شفافة نقية صافية تتلألأ- كقلب النبى (صلى الله عليه وآله)، وهذا النور هو نور القرآن المتشعشع فى مشكاة قلب الرسول (صلى الله عليه وآله). ومع ذلك فان قلب الانسان المسلم الذى انعكس عليه شئ من نور القرآن قد يكون متأثراً ببعض الافكار التى دخلت هذا القلب، فتركت فيه آثاراً من الشرك، وهذا هو السبب فى انحراف الديانات السابقة كالديانة المسيحية، فالمسيحيون قالوا ان الناس ليس بإمكانهم الايمان بالانجيل وصفائه ووضوحه، وبالنور الالهى الموجود فيه، فلأخذ من ثقافات الآخرين كالثقافة اليونانية الوثنية، ولنمزج هذه الثقافة بالانجيل، فكانت النتيجة ان اخذوا بفكرة الاقاليم الثلاثة؛ الله، والابن، وروح القدس. وهذه السلوكيات الخاطئة هى نفس ما يقوم بها الآن البعض من المثقفين الذين ذهبوا الى البلدان الغربية فأخذوا يفسرون القرآن الكريم حسب ما تعلموه وتلقوه من

افكار غريبة وضعية.

## رافد عذب و نبع صاف

ان علينا ان نستمد ثقافتنا من القرآن الكريم بشكل مباشر، وانلا ننفصل عن هذا الكتاب العظيم، فحجتنا يوم القيامة ستكون قوية عندما نأخذ علمنا وثقافتنا من هذا الرافد العذب، والنبع الصافي، فالقرآن الكريم يظل هو الاساس والمعيار حتى بالنسبة الى احاديث الأئمة (عليهم السلام)، ولذلك يأتي التأكيد من قبل الامام الصادق (عليه السلام) على المسلمين بأن يعرضوا الروايات والاحاديث على القرآن الكريم، فما وافق الكتاب فليأخذوا به، وما خالفه فليضربوه عرض الحائط.

## شبهات الكفار تجاه الرسل

وفى سورة الفرقان التي تحمل اسما من اسماء القرآن الكريم، وهو " الفرقان " الذي يعنى ان القرآن يفرق بين الحق والباطل، هناك بعض الآيات التي يطرح فيها الله - سبحانه - تساؤلات بل شبهات الكفار تجاه الرسل، وهى كالتالى: (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا - أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَشْحُورًا - انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا - تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا - بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا - إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا - وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا - لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَاذْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا - قُلْ أَدْلِكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا) (الفرقان / ٧ - ١٥).

## شبهات تافهة

ان الله - تعالى - يستعرض لنا فى الآيات السابقة الشبهات التافهة التى أثارها المشركون والكفار تجاه الرسالات الالهية متمثلة فى الانبياء والرسل؛ فكيف يمكن ان يمشى الرسول فى الاسواق ويأكل الطعام، فهو اذن انسان عاجز ضعيف لا يتفوق علينا، فهو يجوع، ونحن نجوع أيضا، وعندما يحل وقت الطعام يجلس على المائدة كما نجلس نحن، ومن الناحية الاقتصادية فانه هو الآخر يحتاج الى الاموال كما نحتاج نحن اليها، وهو محتاج الى ان يعمل، ويمارس التجارة فى الاسواق لكى يؤمن رزقه. فلماذا يعمل، ولماذا لا تنزل عليه من السماء الاموال، والذهب، والفضة لكى يستغنى بها عن مزاولة الاعمال؟ ولذلك فان الكفار كانوا يطالبون ان ينزل مع الرسول ملك فيكون معه نذيرا، وبعبارة اخرى فانهم كانوا يريدون ان يؤمنوا بالرسالات من خلال القوة والخضوع، فى حين ان سنه الله - تعالى - اقتضت ان يؤمن البشر بالرسالات الالهية من خلال الاقتناع بها، ومن خلال الوصول الى مستوى من النضج يؤهلهم لان يصبحوا مؤمنين حقيقيين. لقد كان باستطاعة الخالق - عز وجل - ان يخلق أناسا يعبدونه كما تعبد الملائكة، ولكنه اكرم الانسان بالارادة، لكى يعبد هذا الانسان بارادته وحرية واختياره. وهناك - بالاضافة الى ذلك - الظالمون الذين كانوا يقولون كلاما اخطر من ذلك يرويه - تعالى - فى قوله: (وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّشْحُورًا) (الفرقان / ٨). فهؤلاء الظالمون اتهموا الانبياء بالجنون، وهى أسوأ تهمة يتهم بها الانسان، والقرآن الكريم، ان هؤلاء الظلمة ما هم إلا مجموعة من الضالين: (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) (الفرقان / ٩). فهم يقولون كلاما فى كل يوم فيقولون ان الرسول مجنون، ولم يفكروا فى ان الانسان المجنون لا يمكن ان يكون حكيما، ولا يستطيع ان يدير دولة، او يقود جيشا وأمة، ويؤسس حضارة، وأى مجنون ذلك الذى يستطيع القيام بكل هذه الأعمال؟ ولكن القرآن الكريم يكلهم الى انفسهم، وبتعبير آخر يرد تهمة الجنون الى انفسهم لانهم لا يعون ما يقولونه، وما ينشرونه من ضلالات وأباطيل.



## الدنيا ليست نهاية المطاف

ثم يستأنف - عز وجل - قائلا: (تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ) (الفرقان / ١٠). فالقرآن يرشد الانسان الى ان هذه الدنيا ليست نهاية المطاف بل هي قنطرة للآخرة، ولذلك فان الله - تعالى - لم يعط للانبياء شيئاً كثيراً منها لأنها هينة عنده، فلو كانت هذه الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما جعل للانسان الكافر فيها من حاجة. اما نحن فان الدنيا تعتبر عندنا من القضايا المهمة في حين انها كلها خداع نخدع من خلاله انفسنا، لان الدنيا لا بد ان تنتهي بالموت، والانسان لا يعرف متى سيرحل عنها، وكلما جمع الانسان من هذه الدنيا اكثر، فان حسرتة عليها حين يفارقها ستكون اشد، وفي الآخرة سيكون حسابه ووقوفه لهذا الحساب اطول. ان الله - تعالى - ليس من صفاته ان يكرس القيم الزائفة، بل يريد ان يخرج الناس من ظلمات الدنيا الى نور الآخرة، من قيم المادّة الزائفة الى القيم المعنوية الحقيقية، وان اولئك الظالمين انما اهتموا بهذه الدنيا لانها مبلغ علمهم، ولانهم يعتقدون انها نهاية المطاف كما يقول - تعالى -: (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا) (الفرقان / ١١). فلا تغمض عينيك ايها الانسان لتقول ليست هناك آخرة، بل افتحهما لكي تراها، فالذي يغمض عينيه يتحمل ذنبا؛ ذنب ضلّاته، وذنب الجريمة التي يرتكبها، فالانسان الذي يغمض عينيه وهو يمشي ثم يقع في البئر فانه يذم من قبل الناس مرتين؛ مرة لانه ابتلى وسقط في البئر فكسرت رجلاه - مثلاً -، ومرة لان الناس سيلومونه على اغماضه لعينيه، وهكذا الحال بالنسبة الى الانسان عندما يكذب بالساعة فانه سيعانى من مشكلتين؛ المشكلة الاولى تتمثل في الذنوب التي ارتكبها بسبب تكذيبه بالساعة، والمشكلة الثانية تتجلى في اصل تكذيبه بالساعة. ومثل هذا الانسان سيكون مصيره ان يلقى في نار مستعرة مسجرة لغضب ربها: (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا - إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا) (الفرقان / ١١ - ١٢). وانا لا ادري بالضبط كم تبلغ هذه المسافة التي يصفها القرآن الكريم بانها بعيدة، إلا ان الكافرين يسمعون لهذه النار التغيض والزفير، فاذا بالنيران تضرب بعضها بعضاً، فكيف بهذا الانسان الذي لا يستطيع ان يتحمل ضوء الشمس في الشتاء، كيف يستطيع ان يتحمل ذلك السعير، وتلك النيران التي يقال ان الشمس نفسها سترمي فيها يوم القيامة فتضج من حرها!!

## متى سيحل الأجل؟

اننا لانعرف متى سيحل اجل الواحد منا، وهل سنبقى على قيد الحياة الى ساعة بل ثانية أخرى، فالى متى نبقي في الغرور، والى متى نبقي غير مؤدين بالشكل الصحيح لصلاتنا، وصيامنا؟ وحتى متى نستمر في سلوكياتنا الخاطئة، حتى يأتينا النداء للرحيل، فلا نستطيع ان نعيش ولو للحظات اخرى مهما الحنا على ذلك لتتوب ونرجع الى الله - تعالى -؟ كما يبين ذلك القرآن الكريم في قوله: (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) (الانعام / ٢٨). ثم يستأنف - عز وجل - قائلا: (وَإِذْ أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا - لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) (الفرقان / ١٣ - ١٤). وتصف الروايات هذا المكان الضيق بانه كالحيز الذي يحدثه الوتد في الارض او الجدار، فمن الصعوبة بمكان ان يدخل الوتد في الجدار، وهكذا الحال بالنسبة الى الانسان في يوم القيامة فانه يدخل في النار بعد ان يضرب على رأسه كما يضرب المسمار عندما يدق في الجدار. فقد روى عن الامام الصادق (عليه السلام) يقول: "والذي نفسى بيده انهم يستكروهن في النار كما يستكرو الوتد في الحائط" [٣٦]. والكافرون الظلمة يحشرون في نار جهنم (مقرنين) أى على شكل مجموعة ملتصقة ببعضها البعض ثم يرمون في النار وهم على هذه الحالة. ثم يبين لنا القرآن الكريم ان هؤلاء الظلمة سوف يلعنون انفسهم، فالانسان عندما يقع في مصيبة كبيرة فانه يلعن نفسه خصوصاً إذا كان هو المتسبب في هذا المصير الذي آل إليه. ويسخر - تعالى - من هؤلاء قائلا لهم: (لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) (الفرقان / ١٤). ترى لماذا لم يستغلوا الفرص التي سنحت لهم في الدنيا؛ لقد قرأتم القرآن، وسمعتم النصائح، ولكن كل واحد منكم قال ان هذا الكلام لا يعنيني، في حين انهم كلهم معنيون دون استثناء. ويقول - عز وجل - مقارنا بين هذا المصير الذي انتهى إليه اولئك المكذبون بالرسالات قائلا: (قُلْ أَذَلِكُمْ

خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَصِيْرًا - لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا (الفرقان / ١٥ - ١٦). ان هذه المجموعة الكريمة من الآيات جاءت في مقام التأكيد على حقيقة ان الرسل هم على حق رغم ما تعرضوا له من تلك التهم الرخيصة الى درجة انهم فقدوا الدنيا وما فيها من بهارج، ولكنهم - مع ذلك - كانوا على حق، وأعداؤهم على باطل، ذلك لأن هؤلاء الرسل والذين آمنوا بهم كسبوا الحياة الاساسية المتمثلة في الآخرة، في حين ان اعداءهم لم يكسبوا سوى الدنيا الزائلة على حساب فقدانهم للحياة الأخروية وما أعد فيها من نعيم.

### الهدف الحقيقي من طلب العلم

ان هذه الحقيقة تعنى اننا يجب ان نحسن انفسنا امام الاعلام المزيف، والدعايات المضللة، والافكار السلبية، والتبريرات الواهية، فيجب على الواحد منا - مثلاً - ان لا يدرس العلم لكي يقول للناس اننى عالم، فما فائدة العلم الذى يملأ الانسان غروراً، ويجعله يأمل ان يشغل المناصب المهمة، بل علينا ان نتلقى العلم لكي ننفعا في الآخرة، ولنخلص نياتنا ولنسع من أجل ان تكون طاهرة زاكية. ان هدف الانسان من تعلم العلم هو ان ينفعه، وبالتالي ان يكون سبباً لانتفاع الآخرين منه لا أن يخزنه في قلبه، فاذا طلب منه ان يقوم بالتبليغ في منطقة ما فعليه ان لا يمانع، وللأسف فان بعض المتعلمين عندما يطلب منهم ان يتوجهوا الى منطقة ما للتبليغ فانهم يمتنعون عن ذلك مختلقين العشرات من التبريرات، ومن حقنا ان نسأل هؤلاء: لماذا درست العلم اساساً؟ هل لكي تختلقوا مثل هذه التبريرات؟ ان مثل هذا الانسان عليه ان يراجع نيته عندما بدأ بدراسة العلم؛ فهل كانت نيته خالصة ام كانت تخالطها بعض الشوائب الدنيوية، فاذا ما اكتشف ان نيته لم تكن خالصة فعليه ان يسعى منذ الآن من أجل ان يكون مخلصاً، فالانسان لا يمكن ان يخرج من هذه الدنيا من دون ان يتعرض للامتحان، وهذا الامتحان يتجلى بالنسبة الى طالب العلم في ان يكون جندياً مخلصاً في سبيل الله - تعالى - ودعوته عن وعى وايمان.

### لماذا نستصغر انفسنا؟

ان الواحد منا لم يؤمن بالدين على اساس كلام الآخرين، بل نحن نمتلك الوعي والعقل، فلماذا - اذن - نحقر انفسنا، ونستصغرها، ولماذا لا- نكون جنوداً مضحين في سبيل الله - عز وجل -، ومن اجل القيم والمبادئ التى نؤمن ونلتزم بها؟ ان التهم التى وجهت الى النبي (صلى الله عليه وآله) وسائر الرسل (عليهم السلام) انما هى دروس لنا، فمن يدعى انه داعية الى الله - تعالى - فعليه ان يصمد امام التهم، والتيارات الضالة التى تحاول ان تمتص حالتنا الثورية الايمانية، وان نواجهها بقوة واقتدار، لا لكي ننتصر، فالنصر أمر ليس بايدنا بل هو بيد الله - جل وعلا -، ولكن لان الله اعد الجنة لمن استقام، والنار لمن ضل وانهار.

### طريق الرسالة شائك

ان الذى يستطيع ان يتسلق الجبل لابد ان يصل الى قمته فيرى نتيجة عمله وهى الجنة هناك، اما الذى يسقط في الطريق، ويهوى الى الوادى، فانه - فى الحقيقة - قد هوى فى نار جهنم، ولذلك فان علينا ان نستقيم لوجه الله - تعالى - لا من أجل المغنم الدنيوية، والاطماع الآنية، فنحن لا نعد احداً فى هذا المجال انه سيحصل على بيوت مجهزة، وسيارات فاخرة إذا ما انضم الى حركتنا الجهادية، كلا، فطريقنا هو طريق الجهاد، والدم، والتضحيات، والسجون، والاعتقال، والتعرض الى التعذيب، والمحن. ترى لماذا يتراجع البعض بمجرد ان تتراجع القضايا المادية فى الحركات التى ينتمون اليها؟ وهل يدل موقفهم هذا على خور عزائمهم، وضعف ايمانهم، وعدم خلوص نياتهم منذ البدء؟ الجواب بالايجاب بالتأكيد، فلنتركهم يبررون، فمثل هذه التبريرات لا يمكن ان تنفعهم يوم القيامة، بل على العكس من ذلك، فهذه المعاذير هى بحد ذاتها جريمة. وعلى سبيل المثال فان الانسان الذى لا يصلى، ويدعى ان الصلاة غير واجبة



فان جريمته هذه مضاعفة، وكذلك الحال بالنسبة الى الذي ينسحب من الساحة ويشير حوله الغبار والدخان لكي يبرر انسحابه، ويتهرب بذلك من عتاب ولوم الآخرين، فان هذا التبرير هو بحد ذاته كذب، والكذب حرام بل ان بعضه افتراء على الله - سبحانه وتعالى - فلنحاول ان نقبل على العمل الرسالي بقلوب متفتحة، ونيات خالصة، واذهان واعية، لكي نضمن استمرارية هذا العمل رغم الصعاب، والعقبات التي من المؤكد اننا سنواجهها في هذا الطريق الذي نستهدف من السير فيه مرضاة الخالق وجناته.

## الرسالة الاسلامية مشروع البشرية جمعاء

### اشاره

لا يمكن لأى مبدأ او مشروع او نظرية وضعيه ان يقوى على الوقوف في موازاة الاسلام من حيث شمولية الانسانية جمعاء، وتغطية حاجاتها في هذه الحياة الدنيا. فالاسلام هو المشروع الانساني الوحيد الذي يتمتع بهذه الشمولية، ويستطيع ان يتحدى كل المبادئ والافكار والنظريات والقوانين التي ابتدعها الانسان. ان الانسان في هذا الكون هو واحد من ثلاثين مليون نوع من الاحياء التي تدب على كوكبنا، وعندما يكون الحديث عنه من زاوية معينة نجد انه ينقسم الى تقسيمات عديدة حسب المعايير المادية، ولكننا عندما نحيط به وننظر الى جوهره نجده ذلك الانسان الواحد، ذا الفطرة الواحدة، والطباع والمصالح المشتركة، والقوانين والسنن الالهية الواحدة. وعندما يصوغ هذا الانسان فكرة، او يخطط لمشروع، او يضع منهجا ما فان فكرته، او مشروعه، او منهجه يتأثر حسب موقعه ومحيطه. فلو كان الانسان يعيش في منطقة حارة - مثلاً - فان مشروعه سيتأثر بهذه البيئة ومناخها، وإذا كان هذا الانسان غنياً فان منهجيته في التفكير ستتلو متأثرة بالترف الذي يعيشه، فيكون مشروعه هذا منسجماً ومتلائماً مع ما يرومه المترفون، اما إذا كان فقيراً معدماً فان مشروعه سترحب به الطبقة الكادحة الفقيرة وهكذا...

## المشروع الاسلامي منهج عالمي

وعلى العكس من ذلك فان المشروع الذي قدمه الاسلام كان وما يزال يمثل منهجا عالميا كونيا يتناسب مع كل العصور والازمنة منذ بعثه النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله)، وحتى قيام الساعة. وهنا يكمن سر عظمة هذا الدين الالهى، والرسالة الربانية الخاتمة، وفي اطار هذا الشمول والاحاطة تبرز عظمة القرآن الكريم ومعجزته. فالانسان مهما بلغ تعمقه وتبحره، ومهما خاض في بحار الفلسفة التي تبنى على اساسها الافكار والمنهجيات فانه يبقى ذلك الكائن المحدود في فكره، فلا بد ان تتعلق بتفكيره ومنهجيته التي يصوغها خيوط العاطفة مهما حاول قطعها، فيبقى بذلك محدوداً ومؤطراً بسائر المحدوديات والاطر سواء البيئية، او المناخية، او العنصرية وما الى ذلك، في حين ان ذلك المنهج الذي تبعته السماء لا يشوبه ادنى شائبة من تلك الشوائب التي تدل على الضعف والنقص والحاجة. فعندما يضع الانسان مشروعاً فانه سوف يصوغه بالشكل الذي يرتضيه هو ومن يرتبط به من مجتمعه، ولكن رب العالمين عندما يضع مشروعاً او يقر مبدأ او منهجاً او قانوناً فانه يضعه بحيث يتلاءم مع جميع من على هذه الارض من بشر.

## مشاريع ناقصة

من كل ذلك يتبين لنا ان المشاريع الحضارية التي تصاغ هنا وهناك تبقى مشاريع ناقصة تؤمن مصالح فئة معينة دون الأخرى وربما على حسابها، وعلى سبيل المثال فان الاميركيين عندما يفكرون في مشاريعهم، ويخططون لها فان تفكيرهم هذا ينطلق مما يؤمنون به من منطق، ويتلاءم مع ظروفهم، وبما يوفر لهم مصالحهم، وعلى سبيل المثال فان الرئيس الاميركي الاسبق (جورج بوش) عندما فكر في تحرير الكويت فان اختياره وقع على اتباع الاسلوب الذي لا يتسبب في ازهاق روح جنوده، فالذي وضع هذه الاستراتيجية لم يفكر

كم سيقتل ويباد من ابناء العراق، فهذا غير مهم عنده! هكذا يخطط الاميركيون، ويصوغون مشاريعهم، و استراتيجياتهم العدوانية وذلك من زاوية صيانة مصالحهم، واستمرار نهبهم، ولا يهمهم بعد ذلك ما يجرى على الآخرين من مصائب وويلات. وفي المقابل فاننا لو استعرضنا الرسالات الالهية التي اضطلع بها الانبياء والمرسلون فاننا سوف لا- نجد في عملهم، وحركتهم ادنى ذرة من تلك الاستراتيجيات، والمشاريع المصلحية، وحاشا لهم ان يفكروا في ذلك ولو للحظة واحدة، فما عند الانبياء ليس من أنفسهم وانما هو من عند الله - تعالى - من الوحي المبين، ولذلك فان رسالة الرسول رسالة شاملة تهتم بجميع افراد البشرية ايا كانت انتماءاتهم.

### مشروع الرحمة

وعلى هذا فان المشكلة تكمن في انعدام المشروع الالهى الكونى الذى جاهد الانبياء والارسل والوصياء من أجله؛ المشروع الانسانى الكونى الشامل الذى يعطى لكل وجود حقه، وهو المشروع الذى كانت ومازالت الانسانية فى كل عصر ودهر بأمس الحاجة اليه، والذى يمكن ان نسميه ايضا بـ " مشروع الرحمة " انطلاقاً من قوله - عز وجل -:(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الانبياء / ١٠٧). وقبل فترة ليست بالبعيدة طرح احد الخبراء الاميركيين مشروعاً على صندوق النقد الدولى يقضى بنقل الصناعات التى تسبب تلوث البيئة الى البلدان النامية لكى تتخلص شعوب البلدان المتقدمة من النفايات، والمواد السامة الناجمة من هذه الصناعات، وليس مهماً فى هذا المشروع الانانى ان تبلى شعوب البلدان النامية بهذا التلوث، بل المهم ان تسلم رئة الاميركى ولا يصيبها اى اذى ولو على حساب البشر فى البلدان الفقيرة! بهذه الروح، والتوجهات الانانية يضع الغربيون خططهم ومشاريعهم، وهذا الأمر ليس بالجديد فى تأريخهم، فالسنوات الأخيرة وقبلها شهدت أموراً كهذه وخاصة بالنسبة الى عمليات تصدير النفايات التى تجرى بصورة سرية فى أغلب الاحيان، وهذه هى تجارة الموت الصادرة من مشاريع انانية تتسم بروح الجريمة والعدوان. ان هذه وغيرها من المشاريع والافكار والمخططات المصلحية ذات المنظار الضيق والمحدود تشهد على الحاجة الشديدة للانسانية الى نهج الرسالات المتجسدة فى خاتمتها، والتى جاء بها الرسول النبى الأمى الذى بعث رحمة للعالمين، والذى تمثل شخصيته قمة الانسانية الخيرة والرحيمة، والحاجة الى هذه الشخصية ما تزال ملحّة. فلنتصفح التأريخ، ولننظر كيف كانت الحالة المزريّة التى عاشها العرب قبل اشراقه الاسلام على الجزيرة العربية وعلى العالم، ولعل ابرز ما يعكس هذه الصورة السوداء دفنهم لبناتهم وهن احياء بغير رحمة ولا شفقة، وحالة الاقتتال والغارات التى كانت تحدث بين قبائلهم، وسيادة قانون الغاب حيث القوى يأكل الضعيف. ولننظر بعد ذلك كيف انقلبت احوالهم تلك بعد فترة زمنية وجيزة من بعثة النبى (صلى الله عليه وآله) اليهم والى العالم اجمع، فحدث على أثر ذلك انقلاب جذرى وعميق فى طباعهم واخلاقهم، وتحولوا من تلك الطبيعة الجافة، والقلوب القاسية الى اناس يتعاملون بالرحمة واللطف واللين والايثار والبذل، بل صاروا اخوة فى الايمان، واما فى العبادة والطاعة فان اجواف الليالى كانت شاهدة عليهم.

### اويس أخو رسول الله

ولعل احدهم (اويس القرنى) الصحابى الجليل الذى لم ير الرسول (صلى الله عليه وآله) ولكنه لقب بـ (الصحابى) لعظيم ايمانه، وخلقه، وكثرة طاعته وعبادته رغم انه لم يصحب الرسول، ولم يشاهده، ولم يوفق لزيارة المدينة إلا مرة واحدة من أجل التبرك برؤية النبى (صلى الله عليه وآله)، ولكنه عندما وصل إليها كان الرسول قد خرج منها فى احدى غزواته، فقفل راجعاً منها الى قريته " قرن المنازل. " لكنه ترك أثراً لم يحس به إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما عاد الى المدينة فقال: اشم رائحة الايمان، فمن الذى جاء الى هنا؟ فقيل له: يا رسول الله انه شاب دخل المدينة على راحلته لرؤياك فلما لم يجدك غادرها وهو ما يزال على راحلته لم ينزل عنها. فعرفه الرسول (صلى الله عليه وآله) وقال: ذاك أخى " أويس القرنى. " ويتحدث التأريخ عن هذا الصحابى الجليل انه كان يحيى ليايله مع اصحابه ليلة بالدعاء والتوسل ومد يد الضراعة الى الله، وليلة بالسجود الطويل، واخرى بالركوع المستمر، وهكذا حتى يطل

الفجر وكأنها ليالي القدر المباركة. وروى عنه (اويس القرني) رحمه الله عليه " قال لرجل سأله كيف حالك؟ فقال: كيف يكون حال من يصبح يقول لا أمسى، ويمسى يقول لا أصبح. يُبشر بالجنة ولا يعمل عملها، ويحذر النار ولا يترك ما يوجبها. والله إن الموت وغصصه وكرباته وذكر هول المطلاع وأهوال يوم القيامة لم تدع للمؤمن في الدنيا فرحاً، وإن حقوق الله لم تبق لنا ذهباً ولا فضة، وإن قيام المؤمن بالحق في الناس لم يدع له صديقاً [٣٧ ...]. وبهذه الصورة وغيرها من آلاف الصور تحولت تلك القلوب التي كانت كالحجارة أو أشد قسوة، وذلك الجفاء الذي جعل الواحد منهم يقتل اخاه ربما من أجل بضع تمرات، الى قلوب رحيمة، ونفوس لينه بفضل الرسالة المحمدية المباركة، فما احوج البشرية اليوم الى اشراقه جديدة لهذا الرسول ورسالته العظيمة. ولقد احس بهذه الحاجة كل من اطلع ولو على اليسير من آفاق هذه الرسالة من غربيين او شرقيين فضلا عن المسلمين انفسهم، فهذا هو (جاك اتالي) الشخصية الفرنسية العالمية المشهورة، والذي يرأس حالياً بنك التنمية الاوروبي تحدث في كتابه الذي صدر حديثاً والذي يحمل اسم " آفاق المستقبل " عن مشاكل الانسانية وماسيها مبينا فيه كيف ان البشرية باتت تسير بسرعة هائلة نحو فئائها، شارحاً لذلك الاسباب، ومن ضمنها التدهور البيئي الذي يقف على رأس هذه الاسباب، كما وتعرض للحديث عن الحروب، والازمات الاقتصادية، والكثير من المشاكل، و العضلات التي تقض مضجع البشرية، ثم ينتهي في كتابه الى تقرير الحقيقة التي لا بد له ولغيره من المفكرين ان يعترفوا بانها هي التي تضع حداً للمأساة والمعاناة الانسانية الكبرى حيث يقول: بلى؛ فلا خلاص للبشرية وليس امامها إلا مخرج واحد وهو ان يأتيها منقذ كمحمد (صلى الله عليه وآله) فاذا جاء من هو مثلها انكشفت هموم وغموم البشرية.

### انتظار الأمل لا يعني السكوت

وبالطبع فاننا كمؤمنين بانتظار ذلك الأمل المشرق المتمثل في حفيد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، الامام الحجة بن الحسن العسكري - ارواحنا لمقدمه الفداء -، ولكن هذا لا يعني ان نعيش اليأس حتى ساعة الظهور المباركة، فالقرآن والنهج النبوي هما اللذان يأخذان بالبشرية نحو الآفاق المشرقة في عصر الغيبة الكبرى، ثم هناك علماءنا ومراجعنا الكرام الذين هم امتداد لأئمة الهدى المعصومين، وبهذين النهجين وبجهود واجتهاد المراجع العظام يوضع المشروع الانساني الكوني للحياة، هذا المشروع الذي لا يخص قوماً، او طائفة، او عنصراً دون آخر، كما ان هذا المشروع الالهي الشمولي الذي وضع أسسه، وبني هيكله الخالق - تعالى - لا يقف عند الانسان وحده، بل انه يشمل الوجود كله بأحيائه وجماده، ففيه مراعاة لحقوق كل كائن، وهو يستثمر كل طاقة من أجل بناء الحياة الفضلى. ان الانسان عندما يأوى الى الاسلام ويرتدى ثوبه، ويلبس لباس التقوى، يغدو كائناً متطوراً تنطبق عليه معاني الانسانية الحقيقية، فيصبح ذلك الموجود العاقل الذي يستطيع ان يعيش بين احضان الطبيعة ويتعايش معها.

### رحمة للعالمين

ونحن نقرأ في السيرة النبوية الشريفة ونلمس آثاراً كبيرة تدل على معنى الشمولية الكونية في الاسلام، ومن ذلك كيفية تعامله (صلى الله عليه وآله) مع الحيوان، وقد نقل عنه (صلى الله عليه وآله) انه قص جزء من رذائه لانه قطع كانت نائمة عليه فأبى ان يوقظها من نومها، وفي مرة أخرى نجده (صلى الله عليه وآله) يسقى هذا الحيوان بيده الكريمة عندما يلحظ العطش عليه، وتارة يحذر من ايداء الحيوان فيقول (صلى الله عليه وآله): " رأيت في النار صاحب الهرة تنهشها مقبله ومدبرة، كانت أوثقتها ولم تكن تطعمها ولا ترسلها تأكل من خشاشة الأرض. [٣٨] ". بل ان رحمته (صلى الله عليه وآله) شملت حتى الافاعي التي تقطن في بعض زوايا البيوت، فنهى عن قتلها واصفا اياها بوصف محبب الى النفس قائلاً: " لا تقتلوا عوامر البيوت. " وهناك ايضاً الكثير من المناسبات والشواهد التي دلت وتدل على ان قلبه الكبير (صلى الله عليه وآله) كان مفعماً بالحب والعطف والرحمة الى درجة انه قال عن نفسه: " انما انا رحمة مهداة، " ولعل شهادة الباري - عز وجل - كافية في هذا المجال وذلك في قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الانبياء /

١٠٧). وبعد؛ فهذه هي السيرة والاخلاق التي ينبغي ان نحياها في مشاريعنا ومناهجنا ومسيرتنا في هذه الحياة، لا الاخلاق المادية الانانية التي يتخلف بها الانانيون والمصلحيون. فالمشاريع المادية الوضعية لا تتصف إلا بالاخلاق الجاهلية الجافة، ولا تعبر الى القيم الروحية والانسانية ادنى اهمية، بل لا تعرف إلا الذهب والفضة والدرهم والدينار، وبهذا الاسلوب تعمل على مسح الانسانية. ان هذه المشاريع تفتقر الى معاني التراحم والتعاطف، وبذلك تتفكك في ظلها الاسر ليتفكك المجتمع كله فيصبح افراده ذئابا مفترسة، وحيوانات يفتك بعضها ببعض، فالمجتمعات البشرية وخصوصاً الغربية تعج اليوم بالملايين من صور هذا التفكك والانحلال.

### تيار عظيم من العاطفة

ترى اين الغريون من الاسلام وقوانينه ووصايا الرحمة التي سنّها من مثل قوله - تعالى -: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) (الاسراء / ٢٣)، وقوله: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (الاسراء / ٢٤)، وهذه هي الاخلاق الاسلامية في احدى جوانبها الكثيرة، فالاسلام هو تيار عظيم من العاطفة، وهو رحيم حتى باعدائه، ومثل هذا الخلق الاسلامي العظيم نجده متجسدا في منهج النبي (صلى الله عليه وآله) واهل البيت (عليهم السلام)، ونحن عطاشى الى هذا المنهل العذب، ولذلك فان من الواجب علينا ان نستثمر سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) في حياته الشريفة لكي نحى في هذه الدنيا حياة مثالية ملؤها السعادة والأمل والهناء ومع كل الناس في مختلف المجتمعات والأمم في الارض.

### كيف نحقق السعادة الروحية؟

ان مثل هذه الحياة المقرونة بالسعادة الروحية، والراحة النفسية، واطمئنان القلب نجدها متجلية عند علمائنا ومراجعنا العظام، فترى الواحد منهم يحمل قلب الفتوة والشباب بما نستشعره منه من روح الظرافة، وحسن المجاملة رغم انه قد يناهز المائة سنة من العمر، وعندما يتوفاهم الأجل فانهم يرحلون عن هذه الدنيا وهم في كامل صحتهم. وكل هذا مستوحى من آداب واخلاق القرآن والسيرة النبوية الشريفة، ولو أخذنا بهذه الاخلاق، وطبقناها في حياتنا لعشنا السعادة الروحية، والاطمئنان القلبى في اجواء مفعمة بالايمن والتقوى وحب الله - سبحانه وتعالى - وحب رسوله وأهل بيته الميامين. ومن أجل تحقيق هذا الهدف ينبغي ان نلتزم بأربعة أمور مهمة: ١- مطالعة السيرة النبوية الشريفة والعمل بها ما امكنا، ففي بعض البلدان الاسلامية جرت عادة المسلمين هناك على ان يعقدوا الجلسات الخاصة التي يتناولون فيها السيرة النبوية، واحوال النبي (صلى الله عليه وآله) وصحابته الخالص؛ كيف ولد ونشأ، وكيف بعث بالرسالة، وكيف كانت دعوته ومن ثم جهاده وغزواته؟ بل وكل ما يتعلق به (صلى الله عليه وآله) واصحابه (رض) من مآثر واخلاق كريمة وفضائل ومناقب. وللأسف فاننا نكاد نهمل هذا الجانب المهم من السيرة النبوية، بل ربما لم يقرأ احدا كتابا كاملا عن حياة النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله)، في حين ان الامام السجاد (عليه السلام) يشير الى اهمية هذا الجانب بقوله: "كنا ندرس مغازى النبي كما ندرس القرآن". ٢- اتخاذ النبي (صلى الله عليه وآله) اسوة وقدوة لنا في حياتنا: وفي هذا المجال يقول - تعالى -: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الاحزاب / ٢١)، وهذا يعنى ضرورة التخلق باخلاق الرسول (صلى الله عليه وآله)، والتأدب بآدابه من خلال تقصى كل صغيرة وكبيرة تتعلق بآدابه، واخلاقه، وطرق تعامله، فقد جاء في بعض الروايات - مثلاً - انه (صلى الله عليه وآله) كان عندما يريد شرب الماء يلتزم بثلاثين ادبا في هذا الخصوص، وروى عنه (صلى الله عليه وآله) انه كان عندما يجلس بين اصحابه يوزع نظره بينهم، وعند الاشارة كان يؤشر بكل يده الشريفة، وعند المصافحة كان لا يترك يد المصافح حتى يبدأ هو بسحبها، وقد قيل ان احدا لم يكن يسبق الرسول (صلى الله عليه وآله) في المبادرة بالسلام والتحية.

### من آداب الرسول

وهكذا كان (صلى الله عليه وآله) في حياته مع أهل بيته، وفي حياته الخاصة، وفي قيامه، وقعوده، ونومه، وتناوله الطعام، فقد كان (صلى الله عليه وآله) يقسم فترة نومه الى ثلاثة اقسام؛ بان يضطجع قليلا بعد صلاة العشاء، ثم ينهض ليصلي بضع ركعات، ثم ينام قليلا، لينهض بعد ذلك في جوف الليل وينشغل بالصلاة حتى طلوع الفجر. وعند الطعام لم يكن (صلى الله عليه وآله) يذكر طعاماً تشتهي نفسه، وما عاب قط طعاماً قدم له، ولم يكن يطلب الأكل حتى يقدم له فان لم يؤت له به نهض ونام، وروى عنه (صلى الله عليه وآله) انه ما ثبت له وسادة إلا في مرة واحدة جعلته يتأخر عن صلاة الليل، فما كان منه إلا أن نهض وعاتب اهله قائلاً: "من ثنى لى وسادتي فأخزني عن لقاء حبيبي،" وهذا دليل على ان حبه (صلى الله عليه وآله) للصلاة كان حياً جماً. ترى هل نحن نهض للصلاة ولو باليسير من هذه الروح، ومن هذا الحب للقاء الله - تعالى -، ام ترانا ننهض مكرهين ضجرين فلا نعي ما نقول عندما نصلي، أو ليس الكثير منا لا يعير أذنا صاغية لنداء "حى على خير العمل" الذي يدعونا الى تلك اللحظات التي هي جوهر ما في حياتنا كلها؟ هذا في حين ان النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: "لا تضعوا صلاتكم فان من ضيع صلاته حشر مع قارون وهامان، وكان حقاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين. فالويل لمن لم يحافظ على صلاته وأداء سنة نبيه (صلى الله عليه وآله) [٣٩]. اين نحن من ادب النبي (صلى الله عليه وآله) عندما كان يجلس في محرابه لينتظر حلول وقت الصلاة لحظة بلحظة، فما ان يدخل وقتها حتى ينادى بلالاً (رض) ان: "ارحنا يا بلال بالصلاة" [٤٠]، كما انه (صلى الله عليه وآله) كان يوصي ويؤكد على أهمية الصلاة بقوله: "قرء عيني في الصلاة" [٤١]. ان الصلاة هي حصن التوحيد واطاره، وعندما ندخل هذا الحصن تنهمر علينا سائر البركات التي نرجوها في حياتنا، ولذلك فان علينا ان نهتم بالصلاة كثيراً كما نهتم بصحتنا وسلامتنا. ٣- حب الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) واكثر الصلوات عليهم. ان حب الرسول (صلى الله عليه وآله) يتجلى بذكر الصلاة عليه وعلى آله الميامين، ودرجة الانسان المؤمن في الآخرة ترتفع بمقدار حبه للنبي (صلى الله عليه وآله)، والذي يحب الرسول لابد ان يحب أهل بيته، والمحب لأهل البيت (عليهم السلام) هو محب لشيعتهم، ولكل فرد من أمه محمد (صلى الله عليه وآله). وهكذا فان الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) تمثل كل الفضيلة ذلك لان في الصلاة هذه ذكر الله - عز وجل -، ودعاء للامة الاسلامية، فعندما يصلي الانسان المؤمن ويسأل الله تعالى ان يرفع درجته فان في عمله هذا رفعا لدرجته هو ايضا عند الله، ونحن - سواء كنا في العراق أم في ايران أم في لبنان أم في افغانستان أم في البوسنة والهرسك - عندما نصلي على النبي (صلى الله عليه وآله)، فانه - سبحانه - سيكشف عنا غمونا وهمونا، ويسر لنا ما تعسر من أمورنا، وما صعب من مشاكلنا. ولذلك ينبغي علينا ان نكثر من هذه الصلوات، وان نؤكد عليها في كل محفل ففيها محبة للرسول وآله، وبالتالي الحب لله - تعالى شأنه - ٤- العمل بنهج الرسول (صلى الله عليه وآله)، واوامره ونواهيه، وهذا ما يدعونا اليه القرآن الكريم، وما غاب عنا من هذه الأوامر والنواهي نجده عند ائمتنا (عليهم السلام) الذين هم عدل الكتاب، وثاني الثقلين.

## العالم يبحث عن رسالة محمد

### إشارة

وأد البنات صورة واحدة من الصور التي كانت تتكرر في الجزيرة العربية قبل بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، وعندما بعث (صلى الله عليه وآله) ورزقه الله - تعالى - الكوثر (الزهراء عليها السلام)، علم هذا المجتمع القاسي الفاقد للعاطفة كيف يتعامل مع الفتيات من خلال تعامله السامى مع ابنته فاطمة (عليها السلام) فقال في حقها: "فاطمة بضعة منى من آذاها فقد آذاني" [٤٢]، وقال ايضاً: "فاطمة ريحانتي"، "فاطمة حورية في صورة انسية"، وعندما كانت (عليها السلام) تأتي الى النبي (صلى الله عليه وآله) كان ينهض واقفاً ويستقبلها ثم يأخذ يدها ويقبلها ثم يقول: "فاطمة أم أبيها." وبهذه الكلمات حوّل النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك المجتمع الجلف العاتي، الى مجتمع يفيض عاطفة وإنسانية وحباً. وقد كانت هناك صور أخرى لجاهلية هذا المجتمع قبل الاسلام، فكل



قبيلة كانت ترى ان افرادها يجب ان يبلغوا عدداً معيناً لا يتجاوزونه، فان ولد فيهم مولود جديد دفنوه حياً! بنتاً كان أم ولداً، لانهم كانوا يزعمون ان الارض التي يعيشون عليها لا تكفى لطعام اكثر من العدد الذي يحددهونه، وهكذا فقد كانوا يثدنون الاولاد ويقتلونهم، كما كانوا يثدنون البنات ويقتلونهن، فجاء القرآن الكريم ونهاهم عن هذه الممارسة الخاطئة قائلاً: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ) (الاسراء / ٣١).

### جاءت الرحمة الإلهية

وجاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجاءت معه الرحمة الالهية، ولننظر كيف كان (صلى الله عليه وآله) يتعامل مع الحسنين؛ لقد كان الحسن والحسين (عليهما السلام) يدخلان مجلسه وهو فوق المنبر يعظ المسلمين، ثم يأتي الحسن (عليه السلام)، ويتخطى صفوف الرجال ويعثر ويسقط ارضاً، وإذا بالرسول (صلى الله عليه وآله) يهب من فوق منبره، ويسعى الى شق طريقه وسط الناس، ثم يأخذ بولده، ويحمله الى المنبر وهو يقول: "اولادنا اكبادنا [٢٣]". وبهذه الكلمات وغيرها كان (صلى الله عليه وآله) يعبر عن مدى العاطفة التي يجب ان يكنها كل أب تجاه اولاده الذين هم ككبدته. كما وروى عنه (صلى الله عليه وآله) في هذا المجال انه كان يحمل الحسنين (عليهما السلام) احدهما على كتف، والثاني على الكتف الآخر ثم يمشى وهو يقول: "نعم الراكبان أئتما." وروى ايضاً عن أنس، وعبد الله بن شيبه عن أبيه أنه دعى النبي (صلى الله عليه وآله) الى صلاة والحسن متعلق به فوضعه النبي (صلى الله عليه وآله) مقابل جنبه وصلى، فلما سجد أطال السجود فرفعت رأسى من بين القوم فاذا الحسن على كتف رسول الله (صل الله عليه وآله) فلما سلم (عليه السلام) قال له القوم: يا رسول الله لقد سجدت فى صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها كأنما يوحى إليك فقال (صلى الله عليه وآله): "لم يوح إلئى ولكن ابني كان على كتفى فكرهت أن أعجله حتى نزل [٢٤]". وفى رواية اخرى أنه (صلى الله عليه وآله) قال: "إن ابني هذا ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته [٢٥]". بهذه الاخلاق السامية، والعواطف الفياضة بالحنان كان (صلى الله عليه وآله) يتعامل مع الاطفال، فلنقارن صورة الأب الذى يأخذ ابنته او ابنه ليدفنها احياء مع صورة النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يعامل الحسنين تلك المعاملة المتدفقة حباً وحناناً. وصورة اخرى عرضها عن المجتمع الجاهلى وهى؛ ذات مرة هاجمت قبيلة قبيلة اخرى، فأخذوا افرادها اسرى لديهم، وقد كان الهجوم يتم عادة بالمكر والخداع، حيث يباغتون الناس وهم نائمون من دون سابق انداز، وربما من دون اى سبب، فيحتلون موقعهم، ويأخذونهم اسرى، وهنا وقف شيخ القبيلة المغيرة، ووضع الرمح على كتفيه، وبدأ ينشد الاشعار الحماسية ليبين من جهة فضائل قبيلته، ومن جهة اخرى يهجو القبيلة التى انتصروا عليها، وفى هذه الاشعار كان يحرض ابناء قبيلته على الاسرى، فما كان منهم إلا ان قتلوا الاسرى بأجمعهم، وأبادوهم عن بكرة أبيهم. ولنقارن الآن هذه الصورة الجاهلية الوحشية مع صورة الرسول (صلى الله عليه وآله) عندما فتح مكة هذه الارض المقدسة التى كانت تقطنها قبيلة قريش التى سامت الرسول (صلى الله عليه وآله) واصحابه سوء العذاب طيلة ثلاث عشرة سنة؛ فما من فعلة قبيحة إلا وارتكبوها بحق الرسول (صلى الله عليه وآله)، فكانوا يأذونه فى الطريق، ويرشقونه بالحجارة، وكانوا يدفعون اولادهم الى ايذائه (صلى الله عليه وآله) و يلقون فى طريقه الاشواك، ثم لاحقوه الى المدينة، وقتلوا عمه، وضربوه وجرحوه، وقتلوا اصحابه، وفعلوا به ما فعلوا.

### العفو النبوى الأعجوبة

وعندما انتصر النبي (صلى الله عليه وآله) عليهم فى فتح مكة، جاء الى المسجد الحرام، وهنا تسمرت اعين الكفار والمشركين على شفتيه، فقال (صلى الله عليه وآله) لهم: ماذا ترون اصنع بكم؟ فقالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال (صلى الله عليه وآله): "اذهبوا، فأنتم الطلقاء [٢٦]". وهكذا وبكلمة واحدة اطلق سراحهم، بل واغدى عليهم الاموال، وعفا عنهم! وهكذا فلولا بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله) الى الجزيرة العربية لانقرض بشرها لان الناس كانوا يتقاتلون، وكان الاولاد يقتلون، والبنات فى تناقص مستمر بسبب

حماقات الجاهلية، ولكن ادركتهم هنا الرحمة الالهية المهداة، وجاءت لا لتنقذ الجزيرة العربية فحسب وانما البشرية كلها.

### محمد.. الأمل

جدير ذكره في هذا المجال ان احد المفكرين الفرنسيين - المعروفين - كتب كتاباً تحت عنوان " آفاق المستقبل " يقول فيه: ان مستقبل البشرية مهدد لأسباب عديدة، وان الأمور اذا سارت على هذا المنوال فان مستقبل الحضارة البشرية سيكون في خطر عظيم، وان لا أمل للبشرية سوى ان يأتي شخص مثل محمد (صلى الله عليه وآله) الذي انقذ البشرية في يوم من الايام، وغير مسارها. وعندما كتب احدهم كتاباً حول اعظم شخصية في العالم؛ يختار شخصاً واحداً من بين الشخصيات الكثيرة التي ظهرت على مر التاريخ الا وهو رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله)، ذلك لانه لم يأت انسان عبر التاريخ المديد للبشرية ترك آثاراً ايجابية على مسيرة الانسانية كالنبي (صلى الله عليه وآله). وهكذا جاء الى البشرية اخيراً المنقذ الذي لا ينقذ منطقة واحدة فحسب، او جيلاً خاصاً، بل ينقذ العالم وعلى امتداد الاجيال، ويملاً نوره الخافقين، وسيبقى هذا النور يشع، ويمتد شعاعه حتى يظهر الله - عز وجل - دينه على الدين كله من خلال ظهور الامام الحجة المهدي (عجل الله فرجه).

### كل الايجابيات للاسلام

ان هذا الفصل لا يسع لان يحدث عن مختلف الآثار الايجابية لبعثة الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولكن اؤكد بإجمال ان ما نجده من آثار ايجابية في الحضارة البشرية انما هو بفضل تعاليم الاسلام، والفلاسفة والمؤرخون والمفكرون كلهم يعترفون ان الحضارة الاوربية هي من اشاعات الحضارة الاسلامية، فالمذهب البروتستانتي - على سبيل المثال - الذي اسسه (لوثر كينغ) انما تأثر بالنظرة التوحيدية الاسلامية، وهذه النظرة هي التي دفعت بالحضارة الغربية الى هذا المستوى الرفيع من التطور والتقدم. واما فيما يتعلق بالعلوم التي انتقلت من الاندلس الاسلامية الى الغرب بصورة مباشرة فالحديث عنها مفصل ومتشعب ومثبت في كل الكتب التاريخية، ولكن هذا ليس الشوط الأخير في سلسلة الحلقات المتصلة بهذه الرحمة الالهية؛ اي ان الحضارة البشرية لم تستطع بعد ان تستمد كل النور والهدى من حضارة الاسلام، فالذي استفادته البشرية من القرآن الكريم، ومن النبي (صلى الله عليه وآله) انما هو بصيص من النور.

### رحمة استوعبت البشرية

ان اخلاق النبي (صلى الله عليه وآله)، وشمائله، وتعاليمه من شأنها ان تستوعب البشرية كلها، والعالم الآن يعاني من مشاكل وازمات لا تنتهي؛ فهناك صراع الشمال والجنوب؛ اي ان الصراع بين الاغنياء والفقراء يشتد لتبدأ اضطرابات وثورات في الجنوب، وقمع من قبل الشمال، وبالتالي حروب ومعارك... ترى ماهي جذور هذه المشاكل والازمات، وما هو اصل هذه المفاسد؟

### ازمة اخلاق و ضمير

الجواب هو ان البشرية مصابة بأزمة اخلاق وضمير، كما يشير الى ذلك - تعالى - في قوله: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) (الروم / ٤١)، وعلى سبيل المثال فلو ان ترسانات الاسلحة الكيماوية والنووية وغيرها فتحت لما بقي اي كائن حي على هذه الارض، ومثل هذه الاسلحة انما تستخدم عندما تكون هناك ازمة اخلاق، وعندما تشتهي مصالح واهواء المستكبرين. وعلى هذا فان البشرية اليوم بحاجة الى اخلاق، وبالتحديد اخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي قال: " انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق " [٤٧]، صحيح ان الغربيين يملكون اقتصاداً قوياً، وان اليابانيين - على سبيل المثال - يضربون الآن الرقم القياسي في النمو الاقتصادي والتكنولوجي، وارباحهم تقاس بالترليونات، ولكن ذرة من الاخلاق اعظم من كل هذا الربح والامكانيات، فهذه الارباح اين تذهب؟



وما فائدة سيارة ضخمة عملاقة ليس فيها مقود؟ ان ضررها اكبر من نفعها لأنها سترمى بنا الى واد سحيق. والحضارة البشرية اليوم تشبه الى حد كبير سيارة تسير بسرعة جنونية دون ان يكون فيها مقود، فهي قوة بلا عقل، واخلاق بدون ضمير. ان البشرية بحاجة اليوم الى تلك الرحمة الالهية، الى النبي (صلى الله عليه وآله)، والى من يحمل رسالته، ونحن نفتخر باننا ننتمي الى هذه القدوة الالهية، ونفتخر باننا سنظل على هدى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ونعتقد بأن هذه الثروة الحضارية التي نمتلكها لا يمكن ان تقدر بثمان، ولو اعطونا الدنيا كلها ثم سلبوا منا الولاء للنبي (صلى الله عليه وآله) لما كانت هذه الدنيا تعدل عندنا شيئاً، لان ولاءنا ضمير، وروح، وحب، ونهج صحيح في الحياة.

### واجبنا ازاء الرسالة

ترى ماذا يجب علينا ان نفعل تجاه هذه الرسالة الالهية؟ علينا ان نزرع الاخلاق الحسنة في ربوع هذا العالم، شريطة ان نتحلى نحن بها اولاً. ثم نكون المثل الاعلى لهذه الاخلاق، ونبشر بها كل الشعوب، فلو عرفت البشرية ماذا تعنى رسالة الاسلام حقاً لتنبهت اليها واهتمت بها. وفي هذا المجال لا بد ان لا تغيب عن اذهاننا هذه الحقيقة، وهي ان العالم ظمآن، والذي يروى غليله ليس إلا رسالة الاسلام، وسيرة النبي (صلى الله عليه وآله)، فعلى ان نكتب عن حياته (صلى الله عليه وآله) للعالم قائلين بملء افواهنا: هذا هو النبي الذي ندعو اليه. ولنعلم ان مسؤوليتنا خطيرة، وواجبنا عظيم في هذا المجال. ان الله - عز وجل - يقول: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ) (المائدة / ١٥)، فالرسول (صلى الله عليه وآله) جاء ليفصل للناس رسالات الله، وليبين العلم الحقيقي، ويعفو عن كثير، ويخفف عن البشرية اعباءها، كما قال - عز من قائل -: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) (المائدة / ١٥)، فالنور هو النبي (صلى الله عليه وآله)، وهذا النور في اشعاع أبدى.

### رسالة العلم والحياة السعيدة

اما الكتاب المبين فيقول عنه - عز وجل -: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ) (المائدة / ١٦)، فهذه الرسالة هي رسالة العلم لانه نور، ورسالة الحياة السعيدة لان السلام هو الذي يحققها. ان البشرية كانت تحتاج في ذلك اليوم الى هذه السبل، وهي الآن مازالت بحاجة اليها، بل انها أحوج ما تكون اليها بسبب الأزمات والمشاكل اللامتناهية التي تعاني منها في هذا العصر والتي استعرضنا جانباً منها، فهذه البشرية هي بحاجة ماسة الى (السلام) والامن والاستقرار والسعادة الحقيقية في ظل الاسلام، وفي ظل القيادة الالهية الرشيدة، ليخرجها الله - تعالى - من الظلمات الى النور، ويهديها الى صراط مستقيم.

### كيف ندعو العالم الى نهج النبي؟

#### اشاره

إذا أردنا ان نقارن الحياة التي نعيشها بالحياة التي اراد الله - تعالى - لنا ان نعيشها لكان الفرق هائلاً، والفجوة واسعة خصوصاً إذا عرفنا ان الانسان يمتلك فرصة ليعيش حياة كريمة ملؤها الرفاه والسلام والسعادة. وهنا ندرك مدى حاجة البشرية الى رسالات الله - عز وجل - ورساله، والى ذلك الشخص الفذ العظيم المتمثل في النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله) وتعاليمه التي من شأنها ان تجعل من حياتنا حياة اخرى.

### نفوس مكبله بالقيود

وفى هذا المجال لنلق نظرة الى هذه الدنيا التى نعيشها، ولنبدأ من زاوية واحدة هى زاوية الحالة النفسية، فلو تمثلت لنا انفسنا فى صورة مجسدة لرأيناها مكبله بالقيود والاصر والاعلال، ومثل هذه النفوس لا يمكنها ان تعيش سعيدة لانها مسجونة، مكبله، ترسف فى قيودها، فى حين ان الحياة التى بشرنا به الاسلام، ودعانا اليها الرسول (صلى الله عليه وآله) هى حياة طليقة حرة، حياة الاخوة، حياة لا تقيدنا الاطماع الرخيصة. وحتى الحياة فى البلدان الصناعية المتقدمة التى تبدو قائمة على الحرية والديمقراطية فانها ليست قائمة فى الحقيقة على الحرية الحقيقية لان الانسان هناك عبد لشهواته، فأية حرية لذلك الانسان الذى لا هم له إلا التفكير فى بطنه وشهواته؟ هل هذه هى الحياة؟ أم أنها حياة ذلك الرجل الذى يقول "!! والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان اعصى الله فى نمله اسلبها جلب شعيرة ما فعلته" [٤٨ ...].

## ثقافة الماده

فلننظر الى تربية الانسان فى عالم اليوم، والى الثقافة السائدة، انها ثقافة الماده، ثقافة كل همها ادخال الانسان فى معتقات الدنيا، فما هو الفرق بين الانسان يقيد يديه الى ظهره ويرسف فى قيود مادية، وبين انسان يخاف من ظله؟ انهما كلاهما يعيشان الموت، فالبخل فقر عاجل، والخوف موت عاجل. اننا نلاحظ الآن - على سبيل المثال - مدى تورط العالم فى المخدرات الى درجة ان هناك بعض البلدان يتعاطى نصف اهلها المخدرات، والنصف الآخر يتاجر بها كما نلاحظ ذلك فى الولايات المتحدة الاميركية، فالاحصائيات تشير الى ان تعاطى المخدرات فى حالة ازدياد مستمر رهيب! وفى احصائية اخرى عن المانيا الغربية جاء: ان ظاهرة تعاطى المخدرات فى حالة ارتفاع بين النساء والفتيات الصغيرات!! فى حين ان كل انسان يعرف ماذا تعنى هذه السموم من الموت العاجل، ومع ذلك تراهم يعملون ليل نهار، ويمدون ايديهم، ويمارسون التسول فى سبيل ان يشتروا المخدرات ليغيبوا بها عن هذا العالم ساعة او ساعتين! ترى لماذا يفعل الانسان الغربى كل ذلك؟ الجواب لانه لا يشعر بالراحة والسعادة فى ظل الثقافة المادية، فالخوف يلاحقه، وهو يبحث عن الشهوات، وهو مقيد بعشرات القيود المادية.

## الحياة فى ظل الاسلام

ترى هل هذه هى الحياة الحقيقية ام الحياة التى يدعو اليها الاسلام؟ ان الاسلام يجعل الانسان يعيش السعادة حتى وهو يزرع تحت أحلك الظروف، ولنا فى هذا المجال خير اسوة وشاهد بالامام الكاظم (عليه السلام) الذى عاش المحن والمآسى فى سجون بغداد، ومع ذلك فقد كان يحمد الله - تعالى - ويشكره لانه وفر له فرصة مناسبة يتفرغ من خلالها للعبادة. وهكذا فان الحضارة اليمانية هى من الناحية النفسية حضارة الحياة، فى حين ان الحضارة المادية هى حضارة الموت، وحتى لو رأيت انسانا يعيش على الارض ويتحرك ولكنه فى الحقيقة ميت اذا لم يكن يتبع الصراط الالهى القويم، فى حين ان الانسان الذى يعيش فى ظل المنهج الالهى هو انسان حى يعيش السعادة والطمأنينة. والدليل على ذلك ان الغربيين اصبحوا اليوم يهربون من الحياة الى المخدرات، والمسكرات، والعريضة، والى كل ما من شأنه ان يلهيهم، الى درجة ان البعض منهم يفضل ان يتخلص من الحياة بالانتحار، فالاحصائيات مذهلة فى هذا المجال، وهى فى حالة ازدياد مستمر فى كل عام! ان الانسان انما يتهرب من هذه الحياة لانها ليست الحياة التى خلق لها، وليست الحياة التى يقول عنها القرآن الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الانفال / ٢٤)، فالرسول (صلى الله عليه وآله) يدعو الناس الى ما يجعلهم يعيشون حياة حقيقية. وهكذا فاننا بحاجة الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكى يغير هذه الحياة، فهذه الحياة اصبحت الآن تافهة، فالانسان الذى يعيش فى الظلام لا يمكن ان يفهم معنى النور، والبشرية تعيش الآن هذا الظلام، وهى متعطشة الى النور، وحينئذ ستدرك ان تلك المادية الطاغية التى كانت تعيشها انما كانت فى الحقيقة سجنًا كبيراً، ولذلك قال - تعالى - فى معرض تبينه لصفات الرسول (صلى الله عليه وآله): (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا -

وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) (الاحزاب / ٤٥ - ٤٦).

### انهم يحطمون القيم

اننا نعيش حياة ملؤها الظلام الدامس، والجور الى درجة ان الانسان يتمنى الموت لكي يتخلص منها ومن جبروت الجبارين وطغيانهم وظلمهم، فهم يحطمون القيم بطرق مختلفة، وينشرون الاباحية، ويحاربون كل من يدعو الى الله - جل وعلا - والسؤال المهم الذي اريد ان اطرحه هنا هو: كيف نعيد البشرية الى حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)، الى تلك الحياة المليئة بالسعادة الروحية، والهناء المادي؟ والجواب يتلخص في نقطتين مهمتين: ١- ضرورة وجود مجموعة من الناس الذين لا يهابون اية قوة، ويحملون رسالات الله، والذين قال عنهم الله - عز وجل -: (الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ) (الاحزاب / ٣٩)، ووجود مثل هؤلاء كفيل باعادة البشرية الى تلك الحياة السعيدة القائمة على القيم والمثل الالهية. ٢- ان نتحدث للعالم عن حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) وانجازاته العظيمة، والسؤال المطروح هنا: ترى كم كتبنا عن شخصية النبي (صلى الله عليه وآله)، وهل نحن في المستوى المطلوب في هذا المجال؟ لقد كُتبت وأُلفت الكثير من الكتب من قبل المستشرقين، وهم يكتبون كأعداء، ويتكتمون على الكثير من الحقائق، فأين نحن من الرسول (صلى الله عليه وآله)؟ واين نحن من الامام السجاد (عليه السلام) الذي كان يقول "كنا ندرس مغازي الرسول (صلى الله عليه وآله) كما ندرس القرآن!"

### مسؤولية كبيرة

ان علينا الآن مسؤولية كبيرة ازاء اطفالنا، فنحن مكلفون بتعليمهم سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) لكي تعيش هذه الشخصية العظيمة في قلوبهم. ترى كم واحداً منا قرأ كتاباً عن حياة النبي (صلى الله عليه وآله)؟ وهل تكفى قراءة هذا الكتاب الواحد؟ وكيف يكون الرسول نبينا ونحن لانعرفه؟ ان معرفة الرسول والأئمة شرط من شروط كمال الانسان. ولذلك فان من الواجب علينا ان نعرف الرسول (صلى الله عليه وآله) أولاً، ثم نعرف العالم به بعد ذلك لكي نستطيع ان نقدم صورة ناصعة لهذه الشخصية العظيمة الى البشرية وهي تعيش اليوم احلك الظروف وأكثرها تأزماً حيث تصبح الحاجة الى النهج الذي بشرت به هذه الشخصية حاجة اساسية من حاجات العالم اليوم.

### باورقي

- [١] نهج البلاغة / كتاب ٤٥.
- [٢] نهج البلاغة / من غريب كلامه (ع) / رقم ٩.
- [٣] ناسخ التواريخ / ج ٣.
- [٤] اصول الكافي / ج ٢ / ص ٤٦٨.
- [٥] بحار الأنوار ج ٨٩ / ص ١٩٧.
- [٦] بحار الأنوار / ج ٧٤ / ص ٥٩.
- [٧] بحار الأنوار / ج ٢٥ / ص ١٦.
- [٨] بحار الأنوار / ج ٥٣ / ص ١٨٧.
- [٩] بحار الأنوار / ج ١٩ / ص ١٨٠.
- [١٠] نهج البلاغة / من غيب كلامه - ٩.

- [١١] البحار / ج ١٠ / ص ٤٠.
- [١٢] بحار الأنوار / ج ٣٥ / ص ١٧٧.
- [١٣] بحار الأنوار / ج ١٦ / ص ٤٠٦.
- [١٤] نهج البلاغة / كتاب ٤٥.
- [١٥] الكافي / ج ٢ / ص ٤٩٤.
- [١٦] المصدر السابق / ص ٤٩٣.
- [١٧] المصدر السابق / ص ٤٩٢.
- [١٨] المصدر السابق.
- [١٩] بحار الأنوار / ج ٩١ / ص ٤٧.
- [٢٠] الكافي / ج ٢ / ص ٤٩٣.
- [٢١] بحار الأنوار / ج ٩١ / ص ٧٠.
- [٢٢] بحار الأنوار / ج ٩١ / ص ٧١.
- [٢٣] بحار الأنوار / ج ٢ / ص ١٤٤.
- [٢٤] بحار الأنوار / ج ١٦ / ص ١١٥.
- [٢٥] نهج البلاغة / خطبة ٨٩.
- [٢٦] الكافي / ج ٢ / ص ١٦٣.
- [٢٧] بحار الأنوار / ج ٢٠ / ص ١٨٩.
- [٢٨] بحار الأنوار / ج ١٦ / ص ٢٦٠.
- [٢٩] بحار الأنوار / ج ١٩ / ص ٢٢.
- [٣٠] بحار الأنوار / ج ٣٥ / ص ١٧٧.
- [٣١] بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ٣٨.
- [٣٢] نهج البلاغة / من غريب كلامه - ٩-
- [٣٣] بحار الأنوار / ج ٣٩ / ص ٥٦.
- [٣٤] بحار الأنوار / ج ٢٢ / ص ٤١٧.
- [٣٥] الكافي / ج ٢ / ص ٥٤.
- [٣٦] بحار الأنوار / ج ٨ / ص ٢٥٥.
- [٣٧] بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ٣٦٧.
- [٣٨] بحار الأنوار / ج ٦١ / ص ٢٧١.
- [٣٩] بحار الأنوار / ج ٨٠ / ص ١٤.
- [٤٠] بحار الأنوار / ج ٧٩ / ص ١٩٣.
- [٤١] بحار الأنوار / ج ١٦ / ص ٢٤٩.
- [٤٢] بحار الأنوار / ج ٤٣ / ص ١٧١.
- [٤٣] بحار الأنوار / ج ١٠٤ / ص ٩٧.

[٤٤] بحار الأنوار / ج ٤٣ / ص ٢٩٤.

[٤٥] بحار الأنوار / المصدر السابق.

[٤٦] بحار الأنوار / ج ١٩ / ص ١٨٠.

[٤٧] بحار الأنوار / ج ١٦ / ص ٢١٠.

[٤٨] بحار الأنوار / ج ٤١ / ص ١٦٢.

### تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رَحِمَهُ اللَّهُ" - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشأته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدل أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافته على أساس معارف القرآن و اهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيّة، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدّعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعىة و اعتبارىة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمىة، الجوامع، الأماكن الدينىة كمسجد جَمكران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسة " الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليمىة عموميّة و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السّنة

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد / " ما بين شارع " پنج رَمَضان " و مُفترق " وفائى / " بنايه " القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرىة الشمسيّة (= ١٤٢٧ الهجرىة القمريّة)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويّة الوطنيّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

البريد الالكترونى: [Info@ghaemiyeh.com](mailto:Info@ghaemiyeh.com)

المتجر الانترنتى: [www.eslamshop.com](http://www.eslamshop.com)

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجاريّة و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتىة الحاليّة لهذا المركز، شَعَبِيّة، تبرّعىة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوافى الحجم المتزايد و المتسّع للامور الدينىة و العلمىة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركز صاحب هذا البيت (المُسمّى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَل الله تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّق الكلّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولىّ التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
أصبحان



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

**www.Ghaemiyeh.com**

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩